ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 39 - العدد 1111 - الجمعة 6 صفر 1426 هـ - الموافق 15 أبريل 2005

فضل تلاوة القرآن وتعليمه

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

تهاني علماء المغرب بمناسبة حفل إعذار ولي العهد

بمناسبة احتضان العاصمة العلمية فاس، لحفل إعذار ولي العهد، الأمير الجليل مولاي الحسن، يمر علماء المملكة والأمانة العامة لرابطتهم، أن يتقدموا بأزكى التهاني، وأطيب الأماني، لأمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله، وأسرته الشريفة داعين لولي العهد بأن ينبته الله نباتا حسنا ليكون خير خلف لخير سلف وأن يجعل أيام مولانا الهمام موصولة الأفراح، ويريه في سموه مايسره ويرضاه، ويحفظ الجميع بما حفظ به الذكر الحكيم ليبقى المغرب في ظل العرش العلوي المجيد، واحة أمن وسلام، إنه سميع

العلم أمانة والعلماء مسؤولون

كيف نتعامل مع تراثنا الفقهي

المسامرة المكناسية بالمدرسة الحربية

الصحراء المغربية وثوابت القيم الوطنية (4)

2- المرحلة الثانية: مواقف الساكنة إبان الوجود الاستعماري سنة 1934م.

ففي هذه المرحلة تبنى الساكنة لونا آخر من العمل النضالي المشروع لمناهضة الوجود الاستعماري يقتضيه الظرف الزمني ويناسب الحالة التي صار عليها الوطن من تفكك وتفرقة. فلجزر المد الاستعماري من جديد قام النابهون الوطنيون بعدد من الاتصالات الهادفة لاستئناف مقاومة العدو ساعد عليها خضوع الصحراء المغربية آنذاك للمنطقة الخليفية حيث توجد ثلة من الوطنيين واعين بواجبهم الوطني في كل من تطوان وطنجة زيادة على عدم تقبل أبناء الصحراء المغربية بهذا الوجود الأجنبي حيث أن جذوة المقاومة لم تخمد يوما من الأيام في الصحراء المغربية. بالإضافة إلى رفض الشباب الصحراوي المغربي التلقائي للمستعمر، وتدعيم الآباء والأمهات للنشء على هذا التحدي للأجنبي. ومما زاد مشاعر الساكنة تأججا وحماسا لمقاومة الغازي هو ذلك الخطاب التاريخي لجلالة المغفور له محمد الخامس رضي الله عنه بطنجة سنة 1947م وما رافق تلك الرحلة الميمونة التي قام بها جلالته إلى الشمال من تحميس وتنبيه وتوجيه يحمل في طياته عدم التساهل في حرية المغرب واستقلاله موحدا غير مجزء من خلال لقاءات حماسية مع الشباب قام بها رفيقه في الكفاح وولي عهده آنذاك جلالة المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراه، إذ أعطت تلك الرحلة المباركة شحنة قوية لساكنة الصحراء المغربية زادت من تحديهم للمستعمر وصمودهم في وجهه، وفاء منهم للبيعة الشرعية التي في أعناقهم للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه دام عزه وعلاه، فاستمرت التعبئة للساكنة حتى أعلن بطل التحرير والاستقلال جلالة المغفور له محمد الخامس ثورته التاريخية سنة 1953م على معاقل الظلم والطغيان... عندها أمر نائب خليفة السلطان في الصحراء المغربية - التي كانت تابعة آنذاك لخليفة السلطان بتطوان - الساكنة بالحداد وقصر الصلاة، فاستجاب الكل لهذا الأمر بناء على قوله تبارك وتعالى: "فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا" سورة النساء الآية: 101. ولا فتنة أشد من الاعتداء على رمز هذه الأمة الإسلامية وجامع شملها وموحد وطنها هو وأسرته الشريفة المجاهدة، فعم الحزن ربوع الصحراء المغربية من جراء هذا العمل الشنيع اللاإنساني، والتحم ولد إفني والكويرة وما بينهما بأبناء المقاومة الذين التجأوا إلينا من المناطق التي كانت تحت الحماية الفرنسية، فتوثقت الاتصالات النضالية شمالا وجنوبا، لوفاء الجميع وإخلاصه للمقدسات الوطنية.

وهكذا ضيق المستعمر الفرنسي الخناق على الوطنيين، ونفى منهم مجموعات، التحق بنا البعض منهم بكل من إيفني والعيون وباقي المدن الصحراوية المغربية من إيفني إلى الكويرة، فتوثقت الاتصالات وهيأنا أنفسنا للمزيد من التضحيات قياما بالواجب، إخلاصا من الكل لولي الأمر، ووفاء من الجميع للبيعة التي تفانى الساكنة - كما هي عادتهم- في الإخلاص لها، وذلك واجبهم... الديني والوطني.

3 - المرحلة الثالثة: جلاء المستعمر عن بعض أجزاء الوطن:

عند رجوع المغفور له منتصرا حاملا معه وثيقة استقلال جزء من هذا الوطن الغالي الذي اعترفت إسبانيا من جهتها باستقلاله والتزمت بوحدته الترابية بتاريخ: 07/04/1956 م عم الفرح والسرور جميع جهات الصحراء المغربية واحتفل الساكنة من إيفني إلى الكويرة جميعهم بهذا الاستقلال والانتصار اللذين حققهما العرش والشعب نتيجة الوفاء للبيعة ومقاومة الغازي ورفض وجوده.

وانعقد في هذا التاريخ أكبر مؤتمر عرفه تاريخ المنطقة عند مخيم نائب خليفة السلطان بالمنطقة الشمالية بموضع (أم الشكاك) حضره العلماء والقادة والأعيان وأهل الحل والعقد من ساكنة الصحراء المغربية احتفاء بهذا الحدث التاريخي السار الذي طالما اشرأبت إليه أعناق المغاربة جميعا، وانبثق من هذا المؤتمر العظيم وفد هام توجه لعاصمة المملكة - الرباط - قصد تجديد البيعة، وراهن المستعمر الإسباني على إفشال المؤتمر وقطع الطريق على الوفد الذي يمثل الساكنة، لكن محاولاته باءت بالفشل، فعندما وصلنا المناطق المحررة كان من جملة من استقبلنا بمدينة أكادير المناضلان المقاومان: أحنوش حمادو الحاج، وعباس القباج -رحمهما الله - فأكرما وفادتنا، واحتفل ساكنة أكادير بنا كما سبق أن احتفى بنا قبل ذلك ساكنة كلميم، ووصلنا الرباط يوم 27 رمضان وحظينا باستقبال المغفور له في نفس اليوم، وأدى الجميع لجلالته البيعة، وشرحنا لسدته العالية بالله الوضع في الصحراء المغربية، وطمأننا - طيب الله ثراه - أنه لن يهدأ بال للعرش العلوي المجيد والشعب المغربي بأجمعه حتى تتحرر الصحراء المغربية وغيرها من جميع أجزاء هذا الوطن التي مازالت لم تشملها الحرية وتنعم بالاستقلال، كما تفضل جلالته باستقبال مجموعة من وفود المغاربة تعيش نفس الوضعية التي نعاني نحن منها، فوضح للكل أن المغرب لن يتنازل عن حبة رمل واحدة من أرضه، وكلف بنا ولي العهد جلالة المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراه الذي رسم لنا خطة العمل التحررية نحن أبناء الصحراء المغربية، بعدها رجعنا مزودين بنصائحه الغالية، وتوجيهاته السامية، وزادنا اطمئنانا ما سمعنا منه من عدم التنازل عن وحدة المغرب أرضا وبشرا، فزاد ذلك السكان تمسكا أكثر بالبيعة الشرعية...

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

التوجيهات الإسلامية في الحجة النبوية

-15-

بعد عرض موجز للتوجيهات الإسلامية في شأن فريضة الحج بما فيها الفروض والواجبات والمسنونات، والمندوبات والترتيبات بين المناسك والفترة الزمنية والموقع المكاني الذي تجرى فيه تلك المناسك، بعد بيان كل ذلك في المقالات السابقة والتي كانت مبنية على ضوء الحجة النبوية الوحيدة التي أداها رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة والتي توفي على أثرها ببضعة أشهر، وقد كانت الوصية النبوية والخطبة الجامعة التي ألقاها في موقع نمرة عند حدود عرفات في الخيمة التي نصبت له صلى الله عليه وسلم ليستريح قليلا ويستعد للوقوف بجبل عرفات في أعظم موقف ديني مرتبط بشؤون فريضة الحج، والذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحج عرفات"، بعد ذلك كله تتبعت كتب الحديث والسيرة والتاريخ والتفسير للوصول إلى نص كامل لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فوجدت صعوبة في العثور على النص الموحد الجامع، حتى عثرت بين كتبي على كتاب بعنوان "الوصية النبوية للأمة الإسلامية" ألفه الدكتور فاروق حمادة أستاذ التعليم العالي بالجامعات المغربية وطبعه سنة 1404هـ-1983م فوجدته بذل جهدا كبيرا في تكوين الخطاب النبوي وجملة من المراجع المتعددة والمتفرقة منها كتب الحديث والسيرة والتاريخ وحتى كتب الأدب عثر فيها على بعض النصوص المرتبطة بالوصية النبوية فجمعها - جزاه الله خيرا- في نص كامل واضح وقسمه إلى فقرات أوصلها إلى ثمانية وثلاثين فقرة، ثم رجع إلى كل فقرة ووضع لها أسماء المراجع العلمية التي وردت فيها وأحيانا يذكر عدد الصحابة الذين رويت عنهم الفقرة فيصل بهم إلى ثلاثين صحابيا كما هو الحال بالنسبة للفقرتين الخامسة والثلاثين والسادسة والثلاثين، وبذلك سهل علينا الوصول إلى الهدف وإدراك الغاية بقراءة النص الكامل لخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة بنمرة قبل صلاة الظهر والعصر جمعا وقصرا والانطلاق إلى الوقفة الكبرى بالجبل، فللمؤلف حمادة ألف شكر على جهده العلمي في جمعه للنص وتقسيمه ودراسته.

ونحن نورد هذا النص بفقراته حتى يطلع عليه القارئ والعالم والفقيه ليتخذه عندما يعجز عن الحصول على نسخة الكتاب مرجعا إسلاميا ودينيا وثقافيا، في مادة الحج عند دراستها أو تدريسها أو الاطلاع عليها. وسنحاول إعطاء بعض الأضواء الكاشفة عن فقرات من الوصية ولو مع تكرار بعض التصورات.

وفيما يلي: نص الوصية النبوية:

1- الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيآت أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

2- أيها الناس: اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا.

3- أيها الناس: أي يوم هذا؟ أليس يوم النحر؟ (في رواية أليس يوم حرام؟) قالوا: بلى، فأي شهر هذا؟ أليس بذي الحجة؟(وفي رواية: أليس بشهر حرام؟)قالوا: بلى، قال: فأي بلد هذا؟ أليس البلد الحرام؟ فإن دماءكم وأموالكم، وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا.

وحتى دفعة دفعها مسلم مسلما يريد بها سوءا، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

4- سأخبركم من المسلم؟ من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله تعالى.

5- فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

6- ألا وإني فرطكم على الحوض (أنظركم)، وأكاثر بكم الأمم، فلا تسودوا وجهي. ألا وقد رأيتموني وسمعتم وستسألون فمن كذب علي فليتبوء مقعده من النار. ألا وإني مستنقذ أناسا، ومستنقذ مني أناس، فأقول: ياربي أصيحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك.

7- لا تألوا على الله، فإن من تألى على الله كذبه الله.

8- ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرفي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

عالمات جليلات اشتهرن بالفقه والتضلع فيه

■إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

الحلقة الخامسة

■ منذ عهد أمهات المؤمنين رضي الله عنهن اللائي كن يروين الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعناية المرأة بالقرآن والحديث مستمرة ومتواصلة، وفي العهد النبوي الشريف برزت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وكانت مرجعا للصحابة، ولمن أدركها من التابعين، وعدها حفاظ الحديث من الحافظات المتميزات عن سائر نساء عصرها، وواصلت المرأة عنايتها بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في عهد التابعين وتابعيهم، وما بعد ذلك.

واجتهدت بعض العالمات اجتهادا كبيرا في الدراسة والتلقي عن الشيوخ المتضلعين في الحديث ودراسة علومه، ومعرفة فقهه وسنده، ورواته، وفي كل عصر نجد شيخات جليلات اشتهرن بالتضلع في علم الحديث رواية ودراية، تتلمذ عليهن علماء كبار، فالإمام الشافعي رحمه الله تتلمذ على السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وكان أبوها الحسن بن زيد شيخ بني هاشم في زمانه، ومن ذوي النباهة والفضل، انتهت إليه رئاسة البيت الحسني، وكان بنو هاشم يرجعون إليه في أمورهم، لفضله وعلمه وسداد رأيه، وشهدت السيدة نفيسة أيام عز أبيها، وعرفت مكانته في العلم والفضل بين الناس، وأخذت عنه سماته في الاستقامة والتقوى، وكان يأخذها معه لزيارة القبر النبوي الشريف، ويدعو لها بالخير والصلاح، وتولى والدها إمارة المدينة المنورة سنة:149هـ أيام خلافة أبي جعفر المنصور العباس، واستمرت ولايته على المدينة خمس سنوات، كان خلالها من أفضل الناس ولاية، ورئاسة وفضلا، وشهامة، وذاع صيته بين الناس، وتوافدوا عليه، وكان ذلك سببا في غيرة المنصور منه، فعزله وسجنه، لكن شاء الله أن يرد إليه المهدي العباسي اعتباره ومكانته سنة 158هـ، واعترافا بفضله، وبالغ في إكرامه، وعرف له قدره من البيت النبوي الشريف، ومن بني هاشم بصفة عامة، وفي سنة:168هـ طلب منه الخليفة المهدي أن يرافقه في رحلته إلى بيت الله الحرام، لأداء فريضة الحج، فاستجاب له ورافقه في رحلته، ولما وصل الركب الخليفي إلى قرية (حاجز) على خمسة أميال من المدينة المنورة، وافته منيته رحمه الله، وهو في السنة الخامسة والثمانين من عمره، وصلى عليه الأمير علي ابن الخليفة المهدي، وكان لوفاة الشريف الوقور سيد بني هاشم في عهده، أثر بالغ على ابنته الكريمة السيدة نفيسة، قال عنها ابن خلكان وغيره: وكانت نفيسة من النساء الصالحات التقيات، ولما دخل الإمام الشافعي إلى مصر، كان يزورها، وسمع عليها الحديث..."لقد ذاع صيت السيد نفيسة بمصر باعتبارها عالمة، وعابدة ومحسنة، وكانت رحمها الله صاحبة فصاحة وبلاغة وبيان، حفظت القرآن الكريم في صغرها ودرست التفسير، وكانت حجة ثقة في رواية الحديث، فقصدها العلماء وطلاب العلم، وفي طليعتهم الإمام الشافعي رحمه الله، الذي حظي بمكانة عندها، وعرفت قدره وجديته في طلب العلم، وقدرته على البحث والتعمق في فهم مقاصد الشريعة: فأصبح يزورها باستمرار، وصلى بها التراويح في شهر رمضان، وكانت السيدة نفيسة تكرمه، وترى له الفضل والمنزلة، فسمع منها الحديث النبوي، وكذا تلميذه الإمام أحمد بن حنبل، وبشر الحافي، حسبما ذكره علي باشا، مبارك بالخطط، وكان الشافعي لايترك زيارتها وهو في طريقه إلى مسجد الفسطاط، والعودة منه، وكانت دارها مزار كبار العلماء يجلسون إليها، ويستمعون منها، ويناقشون مسائل العلم معها، ومن كبار العلماء الذين كانوا لاينقطعون عن زيارتها والاستماع إليها الفقيه إسماعيل بن يحيى المزني العالم المشهور، ومن العلماء الذين داوموا على حضور مجالسها، ذو النون المصري الصوفي، وعثمان بن سعيد المصري، وعبد الله بن عبد الحكم الذي انتهت إليه رئاسة الفقهاء المالكية بمصر، وممن حضر مجالسها الإمام سحنون سعيد بن عبد السلام، رأس الفقهاء المالكية بالقيروان، ويوسف بن يحيى البويطي الذي أنابه عنه الإمام الشافعي في حلقات التدريس..وقد اعتنى بترجمتها ونقل أخبارها عدد من العلماء والمؤرخين والرحالة، وقال عنها السيوطي في حسن المحاضرة: "السيدة نفيسة بنت الأمير حسن بن زيد بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكان أبوها أمير المدينة للمنصور، وله رواية في سنن النسائي، ودخلت هي مصر مع زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق، فأقامت بها، وكانت عابدة، زاهدة، كثيرة الخير، وكانت ذات مال، فكانت تحسن إلى الزمنى، والمرضى وعموم الناس، ولما ورد الشافعي مصر كانت تحسن إليه، وربما صلى بها في شهر رمضان، ولما توفي أمرت بجنازته، فأدخلت إليها المنزل، فصلت عليه، ماتت في رمضان سنة ثمان ومائتين وكان عزم زوجها على أن ينقلها فيدفنها بالمدينة النبوية، فسأله أهل مصر أن يدفنها عندهم، فدفنت بمنزلها، بدرب السباع، محلة بين مصر والقاهرة". لقد لخص السيوطي ماقاله عنها ابن خلكان (ت:681هـ)في كتابه: وفيات الأعيان، وما قاله غيره: كالذهبي في العبر، وابن أسعد اليمني اليافعي (ت: 768هـ)في كتابه مرآة الجنان وعبرة الزمان، وغيرهما، وهي صاحبة المشهد المعروف بمصر كانت عالمة بالتفسير والحديث، ولدت بمكة، ونشأت بالمدينة، وتوفيت بمصر، وقد حجت رحمها الله ثلاثين حجة، وللمصريين فيها اعتقاد كبير، وقبل موتها حفرت قبرها بيدها، في بيتها الذي هو مدفنها اليوم، وخلط بعض من كتب عنها بين السيدة نفيسة عمتها وأخت أبيها، وبينها، فعمتها نفيسة بن زيد، وهي نفيسة بنت الحسن، وعمتها دخلت مصر قبلها، وماتت بها ودفنت بالمراغة بالقرب من القرافة، مما يلي جامع ابن طولون، ولتشابه الأسماء خلط بعضهم بينهما، ولكل واحدة منهما مشهده ومدفنه.

ومن أقوالها رحمها الله: "نحن بيت النبوة أحق بالعبادة من غيرنا، لأن القرآن نزل على جدنا محمد صلى الله عليه وسلم".

ومن أقوالها: (الطاعة قلب الإيمان والعبادة جسده، والزهد رداؤه، والصدق حجته، والإخلاص بهجته، والعفو عمن أساء أجمل وأحسن بالمؤمن، لقوله تعالى: (وأن تعفو أقرب للتقوى"(سورة البقرة/الآية:237)

ومن أقوالها: (ويل لمن عصى ربه، وخالف أمره، وأعرض عن ذكره، واتبع هوى نفسه)

ومنها: "العبد الطائع حجة على العباد العصاة"

ولها رضي الله عنها أدعية منها: "اللهم إني أعوذ بك من كلام السوء، وفعل السوء، ومرامي السوء، وجار السوء، اللهم لاتكلني إلى نفسي فأعجز، ولا إلى أحد من خلقك فأضيع، اللهم الهمني رشدي، وقني عثرتي، واغفر زلتي، وقني شر وسواس الشيطان، وأجرني منه يارحمان ، حتى لايكون له علي سلطان" إنه كلام يبرهن على عمق إيمان صاحبته، وعلى علو قدرها ومكانتها، وقربها من الله تعالى، والحديث عن هذه السيدة الجليلة يطول، ونكتفي بهذا القدر.

(تتمة ص1)

9 وإن مآثر الجاهلية موضوعة، غير السدانة والسقاية، والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية..

10. ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتله هذيل.

11 ألا لايجني جان إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده. ولا مولود على والده.

12 وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، وإن كل ربا موضوع، لكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون قضى الله أنه لا ربا.

13 وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده، إن اعتصمتم به كتاب الله، وسنة نبيه.

14. وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك وأديت ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس.

اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد.

15 أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، فلا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟اللهم فاشهد.

16. وإنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم، وحسابهم على الله ولاتظلموا أنفسكم.

17. فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

18. أيها الناس: اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع أسود، أقام كتاب الله عز وجل فيكم.

19. إن الله يقول: "يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

20 أيها الناس: إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربي فضل على عجمي، ولا لعجمي فضل على عربي، ولا أسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

21 يامعشر قريش: لاتجيئوا بالدنيا تحملونها على رقابكم، ويجيء الناس بالآخرة فإني لا أغني عنكم من الله شيئا.

22 أيها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك، فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

23 أيها الناس: إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما، ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله.

24 وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات، ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان (والشهر تسع وعشرون يوما، وثلاثون يوما) ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

25 أما بعد أيها الناس: فإن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن ذلك فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

26 ولاتنفقن امرأة شيئا من بيتها إلا بإذن زوجها، قيل: يا رسول الله: ولا الطعام؟قال: ذلك أفضل أموالنا.

27 فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرا، فإنهن عوان عندكم لايملكن لأنفسهن شيئا، وإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله. فاعقلوا أيها الناس، واسمعوا قولي، فإني قد بلغت.

28 أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، فلا يجوز لوارث وصية، ولاتجوز وصية في أكثر من الثلث.

29 ألا وإن الولد للفراش، وللعاهر الحجر، وحسابهم على الله تعالى.

30 ومن ادعى إلى غيرأبيه، أو تولى غير مواليه، رغبة عنهم، فعليه لعنة الله البالغة إلى يوم القيامة، لايقبل الله منه صرفا ولا عدلا.

31 العارية مؤداة، والمنيحة مردودة، والدين مقضي، والزعيم غارم.

32 ألا إن الصدقة لا تحل لي ولا لأهل بيتي، (وأخذ وبرة من كاهل ناقته فقال): وما يساوي هذه أو يزن هذه.

33 أيها الناس: أرقاءكم أرقاءكم.. أطعموهم مما تأكلون، وأكسوهم مما تلبسون وإن جاءوا بذنب لاتريدون أن تغفروه، فبيعوا عباد الله ولاتعذبوهم.

34 أيها الناس: إنه لا نبي بعدي، ولا أمة بعدكم، ألا فاعبدوا ربكم وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم وأطيعوا ولاة أمركم، تدخلوا جنة ربكم.

35 أيها الناس: نضر الله امرءا سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

36 ثلاث لا يغل عليهن قلب المسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم.

37 أيها الناس: ليبلغ الشاهد منكم الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه.

ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد.

38 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الوثاق

أحكام التحقيق بأحكام التعليق

إعداد وتقديم الأستاذ : إدريس كـرم

الحلقة الاولى

جمع العبد الفقير الى الله سبحانه محمد المدعو بدر الدين بن يحيى القرافي المالكي من ذرية العارف بالله ابن ابي جمرة رحمه الله ونفعنا به.

⋄⋄⋄⋄

الحمد لله الذي أمر عباده المومنين بالوفاء بالعقود، وحض على حفظ المواثيق والعهود، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب اللواء المعقود وعلى آله واصحابه ذوي المآثر والجود، إلى اليوم المشهود، وبعد

فقد نزلت مسألة يحتاج الحال الى الاعتناء بشأنها، ومزيد التيقظ لأمرها، وقد طلب النقل، فيها فرأيت أن اجمع طرفا يكون شاملا، لجميع تعلقاتها لعموم الفائدة، والمسألة الواقعة هي أن شخصا علق على نفسه لزوجته أنه متى سافر بها من القاهرة المحروسة بطريق من الطرق إلى غيرها من الجهات، بغير رضاها وأبرأته من ربع دينار من صداقها، تكون طالقا، وحكم بموجب ذلك حاكم مالكي، ثم إنه دفع الصداق لها من غير طلب منها، ولا الزام حاكم، ثم ادعى عليه عند حاكم شافعي بان تسافر معه إلى محل طاعته لغار سكون وحكم عليها بالسفر بموقع النزاع بسبب ذلك، وتمسك بحكم الشافعي بعدم وقوع الطلاق عليه، لبراءة ذمته من الصداق المعلق طلاقها عليه، وعلى السفر بغير رضاها، وتمسكت الزوجة بحكم المالكي الصادر منه، بموجب التعليق، وأن دفعه الصداق قبل السفر تحيل منه، لعدم وقوع الطلاق عليه، وإن من موجب حكم المالكي إبطال الحيلة المذكورة، ووقوع الطلاق، ووقع الكلام في ذلك والاستفتاء، وطلب النقل في ذلك، وإظهار ما هنالك، لما فيه من نشر العلم، وإظهار الحق القويم، وذلك في أواخر سنة سبع وستين وتسعمائة،

وتلخص الكلام على ذلك باختصار في فصول، إذ في الإطالة والخروج عن المقصود فضول، مذيلا بخاتمة تسفر من ذلك الوجه المسؤول، مستوهبا من الله الكريم بلوغ المأمول بمنه وكرمه آمين.

⋄⋄⋄⋄

الفصل الأول في حقيقة التعليق وفي وقوع المعلق والمعلق عليه في آن واحد.

الثاني في أن التعليق من باب الالتزام والإيمان فيحكم فيه بالموجب

الثالث في أن المعتبر في الإيمان المعاني والمقاصد

الرابع في الحنث يقع الوجوه وفي التعليق على متعدد

الخامس في بطلان الحيلة في التعاليق والتشديد في ذلك وفي التنبيه على ما يشعر بما يخالف ذلك

الخاتمة في كشف الحيلة المسؤول عنها وما قيل في أمثالها الفصل الأول في حقيقة التعليق وفي وقوع المعلق والمعلق عليه في آن واحد.

⋄⋄⋄⋄

قال العلامة القرافي حقيقة ربط الطلاق بالملك لا نفس الطلاق، وأما أنه يقع مع المعلق والمعلق عليه في آن واحد، فقد قال ابن عبد السلام، إن المعلق عليه بسبب المعلق، وعلة شرعية فيه، أجراها العلماء مجرى العلة العقلية مع معلولها، فقول الرجل لزوجته إن دخلت الدار فأنت طالق معناه أن دخول الدار علة في وقوع الطلاق، وهذه العلة تستلزم حصول معلولها كما تستلزم ألفاظ الطلاق معانيها، فكما أن القائل لزوجته أنت طالق لو أراد إزالة حكم الطلاق بعد نطقه بلفظ الطلاق، لم يكن له ذلك، فكذلك المعلق للطلاق على دخول الدار، ليس له إزالة حكمه، بعد نطقه بلفظ التعليق، قال وإذا ظهر لك هذا، فإذا وقعت علة الطلاق وجب وقوع معلولها معها، في زمان واحد، لما قد علمت من أن وقوع المعلول في زمن علته، وتقدمها عليه ليس بالزمان، كما في حركة الأصبع والخاتم انتهى.

⋄⋄⋄⋄

وقد تبع الشيخ رحمه الله تعالى، في التوضيح ابن عبد السلام في ذلك، فقال كما سياتي بعد هذا، لأن المعلق والمعلق عليه يقعان معا في زمان واحد، إلا أنه في مختصره عول على خلاف هذا بقوله، وتطلق عقيبه بعد قوله ومحله ما ملك قبله، وإن تعليقا، وقد رد ابن عرفة كلام ابن عبد السلام هذا قائلا، يرد بأن هذا على مساواة العلة الشرعية للعلة العقلية في جميع أحكامها، وليس كذلك للأن التخلف في الشرعية لمانع جائز، وفي العقلية ممتنع مطلقا، وبأنه لو كان كذلك اجتمع الضدان في آن واحد، في قوله إن تزوجتك فأنت طالق، وتمنع كون حركة الأصبع علة لحركة الخاتم، وإن قاله غيره بل هما معا معلولا علة واحدة، وهي المراعى للتعليق بهما كسبا لا تأثيرا انتهى.

⋄⋄⋄⋄

ونقل قبله كلام ابن رشد والخمي في مسألة إن صالحتك فأنت طالق، قلت وما قاله ابن عرفة هو مقتضى الفقه فقد قال الشيخ أبو الحسن الصغير في قول التهذيب، وإن ألفها على مال ثم تبين أنه كان قد أبتها قبل ذلك، أو حلف بطلاقها البتة أن لا يخالعها الشيخ صورته أن يقول لها إن خالعتك فأنت طالق البتة، فألزمها البتة، وإن كان الخلع قد تقدم، ومسألة ما في العتق الأول إن قال لعبده إن بعتك فأنت حر لزمه العتق، وإن كان الشرط الذي هو البيع لم يقع إلا بعد ما حصل في ملك المشترى، والنبي عليه السلام قال لاندر في معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم.

⋄⋄⋄⋄

والانفصال عن هذا أن يقال كأنه قال إذا أردت أن أخالعك أو أردت أن أبيعك فحمل الكلام على ماله فائدة، أولى من حملة على ما ليس له فائدة أو يقال ازدحم العتق والبيع فقدم العتق لحرمته، وكذلك ازدحم الخلع والطلاق البتة على العصمة فقدمت البتة لحق الله تعالى، وخلاف هذا في الإيمان بالطلاق إذا قال لزوجته، إذا مت أنا أو اذا مت أنت فأنت طالق، فلا شيء عليه، الشيخ إنما قال ذلك لما في العتق الأول، إذ لا تطلق ميتة، ولا يوصى ميت بطلاق، والمخالف أيضا في هذه المسألة أعني مسألة من قال لزوجته إن خالعتك فأنت طالق البتة، اشبهت فيما حكاه عنه ابن عبد البر في مسألة كتاب العتق وفي جامع الطرر هذه المسألة ومسألة كتاب العتق معترضة لأن المشروط وهو الطلاق إنما يلزم بوقوع الشرط وهو الخلع، الا ترى أنهم قالوا فيمن قال لامرأته أنت طالق إن تزوجتك أو لعبد أنت حر إن اشتريتك، إن الحرية تلزم بالشراء والطلاق بالتزاويج لوقوع الحرية بعد الشراء والطلاق بعد البناء، وقد تم وجه ذلك انتهى كلامه، وفي هذا التحرير كفاية.

⋄⋄⋄⋄

الفصل الثاني في أن التعليق من باب الالتزام والأيمان، وأنه يحكم فيه بالموجب، قال المحقق ابن عبد السلام في قول الرجل لأجنبية إن تزوجتك فأنت طالق، إن السابق على عقد النكاح إنما هو التزام الوقوع لانفس الوقوع، قال فملكية المحل عندنا شرط في وقوع الطلاق لا في الالتزام، قال وفرق بين التزام الوقوع وبين الايقاع انتهى

⋄⋄⋄⋄

ومما يدل على أنه من باب اليمين الذي هو الزام مؤكد ما قاله ابن شاس في الجواهر، أما لو علق الطلاق على وجود تحقق الولاية كعقله إن نكحتك فأنت طالق فالمشهور في المذهب التسوية ترتبه عليها تحقيقا أو تعليقا، وإذا نكحها وقع الطلاق عليها لأن تحقق الولاية يقف عليه نفوذ الطلاق، ووقوعه، وأما الطلاق فهو يمين بالطلاق لا نفوذ فيه، ولا وقع إلا بعد تحققه انتهى.

⋄⋄⋄⋄

وفي التوضيح لو قال لأجنبية إن تزوجتك فأنت طالق فيلزم بمجرد العقد لأنه ملك عصمتها تعليقا لأن المشهور لزوم الطلاق المعلق والمعلق عليه يقعان في زمن واحد انتهى،

وأما الحكم فيه بالموجب فهو حكم بالأثر الذي يوجبه ذلك اللفظ فموجبه المحكوم به انعقاد السببية وهي الربط والإلتزام لوقوع الطلاق عند وجود الصفة لأن الشرط إذا ادخل على السبب لا يمنع انعقاده إنما يؤخر حكمه الى وجود المشروط، وليس موجبه المحكوم به الان وقوع الطلاق، كما سبق الى بعض الأوهام وما للأصوليين والفقهاء في هذا المنزع المعلوم.

الفصل الثالث في أن المعتبر المعاني والمقاصد قال المشدالي في كتاب الايمان بالطلاق قال مالك، فيمن حلف بالطلاق لا اكل هذا الرغيف كله فأخذ بعضه حنث، ولا ينفعه كله بسبب يمينه بالطلاق انتهى.

⋄⋄⋄⋄

فالغى مع صراحته واعتبر المعنى المراد من وقوع ذلك ما لو حلف ليقضين فلانا حقه في يوم كذا فقضاه قبله لا يحنث، لأن قصده أن لا يلد ولا يمطل، وقد فعل فهو محمول على المقاصد، ولو حلف ليأكلن هذا الطعام غدا، فأكله اليوم حنث، وفرق بينهما، بان الطعام قد يخص به اليوم والغريم إنما القصد فيه القضاء، وقد نقل العلامة بهرام في شرحه الكبير على مختصر العلامة خليل عند قوله في الطلاق أو إن طلقتك فأنت طالق قبله ثلاثا.

عن ابن القاسم من تزوج امرأة بشرط أن كل امرأة هي له فهي طالق البتة انه لا يقع عليه شيء في الثانية يعني ويقع الطلاق على الأولى قال الطرطوشي ووجهه ان معنى شرطه الأولى ان كل امرأة اتزوجها عليك يعني وأنت مقيمة فهي طالق فلما كان عقد الثانية يوجب طلاق الأولى وكأنه لم يجمعها انما القصد كراهة ان يجمع معها غيرها انتهى.

فقد صرح باعتبار القصد وفي البيان أيضا عن سماع أبي زيد قال سالت ابن القاسم عن رجل قال لامرأته هي طالق ان وطئ فرجا حراما ابدا فأخذ جارية لامرأته فضم صدرها إلى صدره ووضع يده علي محاسنها وقبلها حتى انزل الماء الدافق قال قد حنث قال ابن رشد لأن معنى يمينه مجانبة الحرام فوجب ان يحنث بمباشرته وان لم يصل إلى الوطء ولو حمله على اللفظ لم يحنثه لأنه لم يطأ فرجا حراما هذا ما في الايمان.

⋄⋄⋄⋄

واما في الأحباس فحكى البرزلي خلافا في اعتبار قصد المحبس أو لفظه ومقتضى كلامه ترجيح الأول ومنه كما صرح به البرزلي شرط الواقف عدم إخراج كتب الوقف من المدرسة وبنى ذلك الخلاف على مراعاة قصد المحبس أو لفظه وانظر ما حرره القرفي في الوصايا والعقود من هذا المعنى.

⋄⋄⋄⋄

الفصل الرابع في ان الحنث يقع بأقل الوجوه قال المقري في كلياته الفقهية قاعدة المشهور من مذهب مالك ان البر يقع بأكثر ما يحتمله اللفظ والحنث بأقله قال ابن أبي زيد لأن الله عز وجل حرم المبتوتة الا بعد زوج ثم أنها لا تحل الا بأكمل النكاح وحرم ما نكح الاباء والاجماع على وقوعه بالعقد وما يحرم الشيء يكفي فيه اليسير وما يبيحه ويطلب فيه الأقصى هـ، وفي الشرح الكبير للعلامة بهرام عند قول العلامة في مختصره وحنث بالبعض ما نصه كما لو حلف لا يأكل هذا الرغيف فاكل بعضه حنث واستدل للمشهور بأن قاعدة الشرع ان الانتقال من الحل الى التحريم يكفي فيه ادنى سبب ومن التحريم الى الحل بالعكس الا ترى ان العقد على الأجنبية مباح وان هذه الاباحة تذهب بمجرد عقد الاب عليها دون وطء والمبتوتة لا تذهب حرمتها الا بمجموع عقد المحلل وطئه والاجنبية لا يزول تحريمها الا بالعقد مع حصول الولي والزوج والشاهدين والطداق وزوال اباحتها يكفي فيه الطلاق الذي يستقل به الزوج فكذلك الخروج الى الحنث يكفي فيه ادنى سبب والخروج منه الى البر يطلب بسبب أقوى من ذلك وهو فعل الكل ثم قال ووجه المشهور أيضا ان الحالف على عدم الفعل كآكل الرغيف قصده التجنب عن كل جزء من أجزائه فكان كل جزء محلوفا عليه وإذا فعل بعضه لم يتجنب واعلم أنه لا فرق عندنا بين جزء المحلوف عليه وبين جزء الشرط ففي كتاب العتق من المدونة وإذا قال لأمته ان دخلت هاتين الدارين فأنت حرة فدخلت أحداهما عتقت وقياسه إذا قال ذلك لزوجته أن تطلق بدخول إحدى الدارين هـ،

⋄⋄⋄⋄

وقد تقدم نقل المشدالي كلام الامام فيمن حلف لا اكل هذا القرص كله وفي ابن بشير القابل لزوجته ان وضعت ما في بطنك فأنت طالق فوضعت واحدا وبقي في بطنها آخر يحنث على المشهور وفي البيان إذا حلف لا شهد محياه ولا مماته فشهد جنازة ابنه حنث قال لأن الحنث يقع بأدنى الوجوه وقال ابن القاسم ومن قال لامرأته أنت طالق إن صليت ركعتين فصلى ركعة أو احرم ثم قطع فإنه يحنث وكذا ان حلف لا يصوم فبيّت الصوم حتى طلع الفجر أو أصبح صالما ثم أفطر انتهى.

وفي البيان أيضا في رسم أمكنني من سماع عيسى في كتاب الايمان بالطلاق ان لا تخرج امرأته من منزلها الا برضاها ورضى أخيها فرضيت المرأة ان تخرج مع زوجها وأبي الاخ قال لا يخرج بها الا باجتماع منهم على الرضى وقال محمد بن رشد هذا صحيح على ما أجمعوا عليه من أن الحنث يدخل بأقل الوجوه لأن خروجه بها دون أن يرضى أحدهم في وجوب الحنث عليه الا ترى انه لو حلف ان لا يدخل الدار حتى يأكل الرغيف يحنث ان دخل الدار وقبل أن يستوعب أكل الرغيف كما يحنث ان دخل قبل أن يأكل منه شيئا وهذا بين ولو جعل أمرها بأيديهم ان أخرجها بغير رضاهم كان له ان يخرج بها إذا رضيت وما في ذلك في النكاح في مسائل الشروط مستوفى فقف عليه هناك.

⋄⋄⋄⋄

ومنه أيضا مسألة من رسم حلف ليرفعن أمرا من سماع ابن القاسم من كتاب النكاح في التي اشترطت على زوجها أن لا يخرج إلا برضاها أو رضى أبيها قال مالك لا أدري ما رضاها أو رضى أبيها إن كان الشرط رضاها مع رضى أبيها فليس له أن يخرج بها حتى يرضيا معا وإن كان رضاها وحدها فله أن يخرج بها إذا رضيت والبكر والثيب في ذلك سواء.

قال محمد بن رشد لم يذكر في السؤال تقييدا بشرط ولا تمليك وإيجاب مالك عليه إن كان الشرط برضاها مع رضى أبيها أن لا يخرج بها حتى يرضيا جميعا يدل على أنه إنما تكلم على الشرط يفيد بطلاق وقد تقدم تحصيل القول في ذلك في النذور ولو كان الشرط مفيدا بتمليك لكان الاعتبار برضاها دون أبيها فإن كان بيدها فقد أسقطت حقها فيه وإن كان بيد الأب كان رضاها بالبقاء مع زوجها وأمر الأب باتباع رأيها إلا أن يبادر فيطلق قبل أن ينهاه السلطان فينفذ على ما ذكر قبل هذه المسألة في رسم استأذن وإن كانا جميعا مملكين لم يكن له أن يطلق دونها إذ قد رضيت هي فإسقاط حقها ولو خرج بها دون رضاهما لم يكن لأحدهما أن يقضي بالفراق دون رضاهما جميعا لأنهما مملكان فليس لأحد أن ينفرد به ولم يكن الشرط مفيدا بشيء لم يلزم ذلك الزوج على ما ذهب إليه مالك وجميع أصحابه ولكن يستحب الوفاء لقوله عليه الصلاة والسلام ان أحق الشروط ما استحللتم به الفروج انتهى من مختصر البيان لابن صاحب الصلاة.

⋄⋄⋄⋄

وقد استفيد منه انها إذا رضيت بالخروج مع زوجها وقد جعل أمرها بيدها على معنى التمليك وضم الى ذلك رضى أبيها اعتبر رضاها فقط ولا يقع عليه الطلاق فلو أرادت الامتناع من الخروج بعد أن رضيت به ففيه ما ترى وسنزيده وضوحا في الخاتمة ان شاء الله تعالى.

وقال ابن القاسم قال مالك من قال لامرأته إن نكحت عليك أو تسريت الا بإذنك فامرك بيدك فاذنت له في جارية أو امرأة فطلق تلك المرأة أو باع تلك الجارية ثم بدا له أن يتزوج أو يتسرى قال ذلك لامرأته ان شاءت أذنت له والا فلا ولم ير أن تحلف على أنها انما أذنت في تلك المرأة بعينها أو السرية بخصوصها اما إذا ندمت بعد إذنها فليس لها أن تغير حتى يفارق أو يبيع فيرجع الامر اليها.

في ظلال الحديث

الحديث التاسع والعشرون والمائة: فضل الصلاة على النبي الأكرم

نص الحديث:

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا" رواه مسلم.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث

هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد التشهد، ح616، وأخرجه النسائي في الأذان، باب الصلاة على النبي بعد الأذان، ح671، وفي كتاب السهو، باب الفضل في الصلاة على النبي، ح1279، وأبو داود، في كتاب الصلاة باب في الاستغفار، ح 1307، وأحمد في باقي مسند المكثرين، ح8499، والدارمي في الرقاق، باب في فضل الصلاة على النبي ح2653، وأخرجه ابن أبي شيبه وأحمد والبخاري في الأدب بلفظ آخر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: " من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيات".

درجة الحديث:

حديث صحيح، روي بطرق متعددة، ورجاله ثقات.

سند الحديث: هذا الحديث أخرجه الترمذي في سننه، وقال: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قالوا حدثنا إسماعيل وهو ابن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة. وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا يحيى بن أيوب: هو أبو زكرياء يحيى بن أيوب المقابري البغدادي العابد، قال أحمد رجل صالح، صاحب سكوت ودعة وقال علي بن المديني وأبو حاتم صدوق وقال أبو شعيب الحراني كان من خيار عباد الله تعالى، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحسين بن فهم: كان ثقة ورعا مسلما يقول بالسنة توفي في شهر ربيع الأول سنة 234.

وقتيبة: هو الشيخ الحافظ محدث خراسان، أبو رجاء قتيبة بن سعيد الثقفي مولاهم البلخي البغلاني ولد سنة 149، وسمع من مالك والليث وابن لهيعة وشريك وطبقتهم وعنه الجماعة سوى ابن ماجة وموسى بن هارون والحسن بن سفيان والفريابي وأبو العباس السراج وخلائق، وكان ثقة عالما صاحب حديث ورحلات وكان غنيا متمولا، قال ابن سيار وكان ثبتا صاحب سنة كتب الحديث عن ثلاث طبقات، قال ابن معين ثقة وقال النسائي ثقة مأمون، مات في شعبان سنة أربعين ومائتين (240هـ)رحمه الله تعالى عن 91 سنة.

وابن حجر: هو أبو الحسن، علي بن حجر بن إياس الحافظ الكبير السعدي المروزي كان فاضلا حافظا نزل بغداد ثم تحول إلى مرو، قال النسائي ثقة مأمون حافظ وقال الخطيب كان صادقا متقنا حافظا. وله أدب وشعر وله تصانيف منها كتاب أحكام القرآن، توفي في منتصف جمادى الأولى سنة 244هـ، وقد أكمل التسعين رحمه الله.

قالوا حدثنا إسماعيل وهو ابن جعفر: هو أبو إبراهيم، إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير المدني الأنصاري الزرقي، قارئ أهل المدينة. قال أبو زرعة الرازي هو ثقة مدني وقال عباس سمعت يحيى بن معين يقول إسماعيل بن جعفر وأخوه محمد ثقتان وقال أحمد بن حنبل: ما أعلم إلا خيرا وقال يحيى بن معين هو ثقة مأمون قليل الخطأ صدوق اللسان، وذكره ابن حبان في الثقات وهو صاحب الخمسمائة الحديث التي سمعها منه الناس وكان من أهل المدينة فقدم بغداد فلم يزل بها حتى مات سنة ثمانين ومائة (180هـ)روى له الجماعة.

عن العلاء: هو أبو شبل العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي المدني مولى الحرقة من جهينة. قال أبو زرعة ليس هو بأقوى ما يكون وقال أبو حاتم صالح روى عنه الثقات ولكنه أنكر من حديثه أشياء وقال النسائي ليس به بأس وقال أبو حاتم بن عدي وللعلاء نسخ عن أبيه عن أبي هريرة يرويها عنه الثقات وما أرى به بأسا وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال محمد بن عمر وصحيفة العلاء بالمدينة مشهورة وكان ثقة كثير الحديث ثبتا وتوفي في أول خلافة أبي جعفر سنة 132هـ.

عن أبيه: عبد الرحمن بن يعقوب الجهني المدني والد العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة. روى عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما قال عبد الرحمن بن أبي حاتم سألت أبي عنه قلت هو أوثق أو المسيب بن رافع قال: ماأقربهما. وقال النسائي ليس به بأس وقال العجلي تابعي ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات.

عن أبي هريرة: هو أبو هريرة الدوسي اليماني الحافظ الفقيه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبد الرحمن بن صخر على الأشهر كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، قدم مهاجرا ليالي فتح خيبر حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير وكان من أوعية العلم ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع قال البخاري روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر، وكان من أصحاب الصفة فقيرا ذاق جوعا وفاقة ثم بعد النبي صلى الله عليه وسلم صلح حاله وكثر ماله وكان كثير التعبد والذكر ولي إمرة المدينة. توفي سنة 58 قاله جماعة رضي الله تعالى عنه، وروي في كتب الحديث 5374.

أهمية الحديث:

هذا حديث عظيم، يبين فيه النبي العظيم، لكل محب، وسيلة يعلن فيها عن حبه لنبيه،ويتقرب فيها إلى ربه، وينال الأجر والثواب، من خلال الإعلان بالصلاة والتسليم على النبي الكريم....

المعنى العام

من أعظم النعم التي تفضل الله بها علينا أن جعلنا من أمة الإسلام، وبعث فينا خير الأنام، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فالحديث عنه حديث كل مناسبة، فهو البشير النذير، والسراج المنير، والرؤوف الرحيم، بأمته، العطوف بهم، الحريص عليهم. كما جاء في القرآن الكريم: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) سورة التوبة/الآية:128.

فالحديث عنه مفتاح القلوب وبهجة النفوس، وإن أسعد الناس من يوفق في عبادته لله بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فإنها من أجل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى مولاه، وينال بها التوفيق في الدنيا والثواب في الآخرة.

1. فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآثارها:

إن أولى الناس بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وأحقهم بتقديره، وأخصهم بعنايته يوم القيامة، الذين يعملون بشريعته، ويتمسكون بسنته، ويكثرون من الصلاة والسلام عليه دائما أبدا.

إذا كان ربنا سبحانه وتعالى في عظمته وكبريائه، وملائكته في أرضه وسمائه يصلون على النبي الأمي إجلالا لقدره، وتعظيما لشأنه، وإظهارا لفضله، وإشارة إلى قربه من ربه، فما أحرانا نحن المؤمنين أن نكثر من الصلاة والسلام عليه امتثالا لأمر الله تعالى، وقضاء لبعض حقه صلى الله عليه وسلم، فقد أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، وهدانا به إلى الصراط المستقيم، وجعلنا به من خير الأمم، وفضلنا به على سائر الناس أجمعين، وكتب لنا به الرحمة التي وسعت كل شيء (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي)سورة الأعراف/الآيتان :157.156 .فالحمد لله الذي هدانا للإسلام، والحمد لله أن جعلنا من أمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

الصلاة والسلام على النبي المختار تشرح الصدور، وتزيل الهموم، وترفع مقام العبد، فيسمو بها إلى الدرجات العلى والمنازل الشريفة، ويتحقق له ذلك السمو الروحي الطاهر، حتى يشعر بفضل ربه عليه، في قوة يقين وإيمان، وسلامة خلق، وصدق بيان، وقد جاءت الأحاديث مستفيضة في هذا، توضح فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وتبين مكانة المكثر من الصلاة عليه.

إضافة إلى الحديث الذي بين أيدينا، أخرج أحمد والنسائي عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما طيب النفس، يرى في وجهه البشر، قالوا: يارسول الله، أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر، قال: "أجل، أتاني آت من ربي عز وجل، فقال من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات". فالله أكبر ولله الحمد، إن الجزاء من جنس العمل، وإن العبد المؤمن، كلما أظهر حبه لنبيه، باتباع سنته، والصلاة والسلام عليه، فإن الله عز وجل يكرمه ويجازيه ويرضيه.

وفي رواية للطبراني قال: دخلت على رسول الله وأسارير وجهه تبرق، فقلت: يارسول الله، ما رأيتك أطيب نفسا ولا أظهر بشرا من يومك هذا، قال: "ومالي لاتطيب نفسي، ويظهر بشري؟ وإنما فارقني جبريل عليه السلام الساعة، فقال: يامحمد، من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات وقال له الملك مثل ما قال لك، قلت: ياجبريل، وما ذاك الملك؟ قال: إن الله عزوجل وكل ملكا من لدن خلقك إلي أن يبعثك، لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا قال: وأنت صلى الله عليك" (ترغيب المنذري:2471).

فاللهم صل وسلم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك. سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

2. رد النبي صلى الله عليه وسلم السلام.

وإن من تكريم وتشريف الله سبحانه وتعالى، لنبيه المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، ولكل محب له، أنه سبحانه عز وجل جعل الصلة بين المحبين من هذه الأمة، والحبيب المصطفى، صلة باقية بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله ملائكته سياحين، يبلغوني من أمتي السلام " (ترغيب المنذري:2474).

بل إنه صلى الله عليه وسلم يرد على من يسلم عليه، أخرج أحمد وأبو داود بإسناد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام"(المنذري :2477).

ولمن خامره شك أو ريب، نقول له، أو لم يكفك أن ربك على كل شيء قدير، وأنه لايعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فهو الخالق والقادر وهو سبحانه الموجود للسنن والقوانين الكونية، وهو المتحكم فيها والمعدل لها كيف يشاء، ومتى يشاء، وأنى شاء، سبحانه، سبحانه.

3. الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله، دليل على محبته

والسعيد من وفق للإكثار من الصلاة والسلام على سيدي وحبيبي، خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، أخرج أحمد وابن ماجه بإسناد حسن عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ويقول: "من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر"(المنذري:2480).

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سبب في دفع الهموم وغفران الذنوب، أخرج أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، والحاكم في مستدركه عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام فقال: "ياأيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه"، قال أبي بن كعب: فقلت: يارسول الله، إني أكثر الصلاة، فكم أجعل لك من صلاتي؟قال: "ماشئت"، قال: قلت: الربع؟ قال: "ماشئت، وإن زدت فهو خير"، قلت: النصف؟ قال: "ماشئت، وإن زدت فهو خير"، قال: اجعل لك صلاتي كلها؟قال: "إذن تكفى همك، ويغفر لك ذنبك"(قال الترمذي: حسن صحيح).

وفي رواية لأحمد: "إذن يكفيك الله تبارك وتعالى ما همك من أمر دنياك وآخرتك"، وإسنادها جيد .فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

والمصلي على النبي صلى الله عليه وسلم يحظى بشفاعته، أخرج مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لاتنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة". اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد، وأنزله المقعد المقرب عندك.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمحق للخطايا من الماء للنار، والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من مهج الأنفس.

والمكثر من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب البرهان الساطع والدليل القاطع على محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والحبيب يبشره بأنه مع من أحب، أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوما، ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب".

فاللهم ارزقنا حبك وحب رسولك، واجعل حبك وحب رسولك أحب إلينا من المال والأهل والولد، وارزقنا مرافقته في الجنان تفضلا منك وإحسانا.

حديث المنابر

العلم أمانة والعلماء مسؤولون

إعداد الأستاذ: رضوان ابن شقرون

الخطبة الأولى

الحمد لله كما يحب أن يحمد، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الهادي الأمجد، والرضا عن آل البيت أهل العز والسؤدد، وعن الصحابة الكرام أهل النهى، وعن التابعين وتابعيهم بالإحسان والبر والتقى.

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، "ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا"، ألا فاتقوا الله عباد الله تهتدوا، واسمعوا وأطيعوا تفوزوا وتغنموا: "ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين"، "ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما".

أما بعد فإن الله عز وجل فرق بين الذين يعلمون والذين لايعلمون، وأعطى العلم وأهله درجات على ومنازل أسمى: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون، إنما يتذكر أولو الألباب" الزمر:10/39. وبين سبحانه أن من لهم حظ كاف من المعرفة هم الذين يقدرون على التفكر والتدبر والاهتداء إلى الصواب عن طريق استخدام العقل: "وما يعقلها إلا العالمون"العنكبوت:43/29.

فلا عجب أن تحافظ هذه الأمة على التمسك بالعلم والتماس طرق اكتسابه وتطويره وتجديده منذ فتح الله قلوب أبنائها لهذا الدين الحنيف، واستمر اهتمامهم بالعلم وأهله والدين وفقهه والمعرفة ومناهجها، وذلك من أجل "الحفاظ على القيم الإسلامية وسلامة العقيدة والحفاظ على وحدة المذهب.. والعمل على ضمان إقامة الشعائر الدينية في .. ظروف من الطمأنينة والسكينة والتسامح والإخاء، وإحياء التراث الإسلامي وبعث الثقافة الإسلامية والعمل على نشرها على أوسع نطاق" (ظ1:م1ص2).

إن شأن هذه الأمة إنما قام بالعلم وحفظه ورعاية أهله وتطوير وسائل اكتسابه ونشره، وإن هذا الدين الحنيف أثبت على الدوام أنه قادر على الارتقاء بالإنسان في دينه ودنياه، وفي عقله وروحه ووجدانه، فالقرآن هذب النفوس وقواها، وغيرمناهج الحياة ورقاها، فتحول الأقوياء الأشداء من القسوة على البنت والمرأة في الجاهلية إلى الرأفة وإكرامها في الإسلام، وانقلب العتاة المتجبرون بالإسلام منصفين متواضعين، ورحل سفراء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأمصار يعلمون الناس القرآن ويفقهونهم في الدين فانقادت النفوس للخير وتطلعت القلوب إلى التعلم، وبفضل ذلك تكون المجتمع المؤمن المتلاحم، المتآزر المتضامن، وانطلق في فضاء التاريخ ينهب الخطى نحو الرقي والمجد، ولم يستأثر المسلمون بما حققوه، بل نشروه أزذاعوه، وتحببوا إلى الآخرين بالعلم والعمل، والبناء والتشييد، لأن "الإسلام يتجاوز حدود الزمان والمكان، ويتميز بالمرونة في الشرائع والأحكام، وبالقابلية لاستيعاب كل ما قد يطرأ على الحياة في حركتها الدائبة من مستجدات، ويعتريها من متغيرات" (ظ.2:ديباجة).

من هنا كانت رسالة العلماء أمانة كبرى، وكان قيامهم بها مسؤولية عظمى، إن قاموا بها أدوا واجبهم، وإن ضنوا بالعلم أو استكانوا حوسبوا في الدنيا والآخرة، وإنما "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (المجادلة:11/58) بتمكنهم من العلم ودوام الاستزادة منه وتجديده، وجدهم في نشره وعدم كتمانه، وشجاعتهم في تصريفه وإبلاغه، قياما بالواجب وإسهاما في النهوض بالأمة ومحاربة للفساد ومظاهره، وانتصارا للحق وأصحابه، وردعا للباطل ودعاته.

وشرط تطبيق ذلك وتنفيذه أن ينهج فيه نهج الاعتدال والوسطية، واليسر والبشارة، والشفقة والرحمة، واللين والمرونة، والسلم والموادعة، ما لم تنتهك الحرمات أو تتجاوز الحدود المرسومات، ثم إنهم بعد ذلك ليسوا مسئولين عن هداية الناس وإنما مسؤوليتهم الإبلاغ والبيان، فالناس ليسوا متساوين في درجة الإقبال والقبول، وقد قال الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا: فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ: فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به: (ب:3العلم:20فضل من علم وعلم: بالفتح1/236ح:79

نفعني الله وإياكم بالقرآن المبين وبسنة سيد الأولين والآخرين وغفر لي ولكم ولسائر المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي لاينبغي الحمد إلا له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا خاتم النبوءة والرسالة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد فيقول الحق سبحانه وتعالى: "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون"(التوبة:123/9)، ويقول النبي الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئا" (م:8/16/468ح2674).

وإنه ليوشك أن يكتمل عام على النفرة الكريمة التي تجدد بها مسار الشأن الديني في هذا البلد الأمين، ونصبت المجالس العلمية في حلتها الجديدة ومقاصدها المتطورة ومناهجها الواضحة المتحددة، وفق ما اقتضته حكمة أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين مولانا محمد السادس حفظه الله ذخرا للعمل وملاذا لأهله.

ولقد قطعت مسيرة العلم والعلماء في المغرب الحديث بهذا الفعل أشواطا وأشواطا، وشعت مصابيح العلوم في أرجاء البلاد بالدروس والمحاضرات والندوات العلمية في مختلف الأرجاء أنوارا وأنوارا، وتسامقت أفكار العلماء بالتواصل والتزاور، وتنوع الخطاب وتطور، وتغلب على الصعاب وتصبر، وآتت الخطوة المباركة التي خطاها المغرب منذ سنة أكلها الطيب الشهي.

وإننا لنتطلع إلى يوم يتحقق فيه أمل أمير المؤمنين حقق الله أمانيه في أن تتلاقح العقول وتتفاعل الأفكار وتتبارى مدارك العلماء وقرائحهم في الاجتهاد والاستنباط، وألا يقنع القائمون بهذا الأمر بمجرد صيانة الموروث عن السلف وحمايته من الضياع والتلف، فذلك منطلق لاغاية، بل يعملون على بعثه وإحيائه، وتجديده وتحديثه، وتفعليه وتطويره.

كما نتطلع إلى أن يتطور منهج الإفتاء والبحث والاجتهاد، لكن بشروطه وضوابطه، وعلى يد أهله، وباعتباره أمانة ومسؤولية وواجبا مقدسا به تتحقق المقاصد الشرعية وتصان أمانة الملة، وتصان لهذا البلد معالم العز والمجد والكرامة، بمنهج الحكمة والوسطية والاعتدال، وفي منأى عن سبل الإقصاء والمصادرة والانعزال.

ولنتضرع إلى الله العلي القدير أن يحفظ هذه الأمة من الفتن والأهوال، وأن يلهمنا الرشد في الأقوال والأعمال، وأن يهدي أبناء هذا الوطن وسائر الأوطان، إلى ماينفع الحاضر والمقبل من الأجيال.

اللهم اهدنا ولاتضلنا، وأكرمنا ولا تهنا، وزدنا ولاتنقصنا، وأعطنا ولاتحرمنا، وآثرنا ولاتوثر علينا، وبعفوك فاشملنا ياحليم ياكريم ياذا العزة والجلال والإكرام.

اللهم انصر قادة المسلمين، المخلصين منهم والعاملين، واجمع كلمتهم على الحق والهدى والرشاد، ووفقهم لما فيه صلاح الأمة وخير البلاد. اللهم إنا نسألك الأمن في البلد والإصلاح في الولد والعافية في الجسد ونسألك اللهم أن تجعل خير أعمارنا أواخرنا وخير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم لقائك.

وانصر اللهم من قلدته في أرضك أمر عبادك، عبدك الخاضع لجلالك، أمير المؤمنين محمدا السادس، نصرا تعز به الدين، وتقهر به الفساد والمفسدين، وترفع به راية الحق المبين، اللهم أره الحق حقا وارزقه اتباعه وأره الباطل باطلا وارزقه اجتنابه، واجعل صلاح هذه الأمة ووحدتها ورفعتها على يديه.

وأقر اللهم عينه بولي عهده الأمير الجليل مولاي الحسن، وشد عضده بشقيقه الأمير المولى الرشيد، وأمطر اللهم شآبيب رحماتك على الملك المجاهد محمد الخامس، والملك المحرر الحسن الثاني، اشملهما يارب بمغفرتك ورضوانك.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر من نصر الدين، واخذل من خذل المسلمين، وأعن إخواننا المجاهدين المسلمين، واقهر أعداءك أعداء الدين، واجعل اللهم بلدنا هذا بلدا آمنا وسائر بلاد المسلمين، وأنزل علينا الأمن والأمان والسكينة والاطمئنان إنك سميع قريب.

وصل اللهم وسلم على نبيك وعبدك وحبيبك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم احشرنا في زمرتهم، ولاتخالف بنا عن نهجهم وطريقهم يا أكرم مسؤول وياخير مأمول.

"ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم"

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. ويغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

الإمامة لغة وشرعا

■ إعداد الأستاذ: محمد العزوزي

الإمامة نوعان: صغرى وكبرى

الإمامة الكبرى استحقاق تصرف عام على الأنام، أي على الخلق، والمقصود بالتصرف العام، طاعة الإمام، أو هي رئاسة عامة في الدنيا والدين.

والإمام الذي يقتدى به، وجمعه أيمة، ولفظته في كتب اللغة:(أمَمَ) وهو من باب: (ردّ يـرُد)، أمّ يـؤمُ، والإسـم مـن (إمـام) وأم القرى مكة المكرمة، لأنها تتوسط الأرض، أو لأنها أعظم القرى شأنا، وأم الكتاب أصله، أو اللوح المحفوظ، أو الفاتحة، أو القرآن جميعه، قال الله تعالى : (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) وفي الكتاب العزيز لقاتلوا أيمة الكفر، إنهم لا أيمان لهم) أي قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم، وفي خطاب لخليل الرحمان سيدنا إبراهيم عليه السلام: (إني جاعلك للناس إماما، قال ومن ذريتي، قال لاينال عهدي الظالمين) سورة البقرة/الآية: 124.

وقوم من عباد الله، دعوا الله أن يجعلهم قدوة يقتدى بهم، ودعاة إلى الخير هداة مهتدين: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماما) سورة الفرقان/الآية:75.74.

والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، إمام الأيمة، وإمام الأنبياء والمرسلين، حيث أمهم وصلى بهم إماما، ليلة الإسراء والمعراج ببيت المقدس.

وللإمام الماوردي . رحمه الله . في كتابه: (الأحكام السلطانية) صفحة 33: (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة لحراسة الدّين، وسياسة الدنيا).

وتعيين الإمام واجب شرعي من أهم الواجبات، كما نص على ذلك العلماء، ويشترط في الإمام، أو السلطان أو الأمير، كونه مسلما، فلا طاعة لكافر، حرا لا شائبة رق، ذكرا، (لن يفلح قوم ولوا شؤونهم امرأة) عاقلا يتمتع بالذكاء والفطنة، وسرعة البديهة، بالغا، لاصبيا دون تمييز، قادرا على إدارة أمور الرعية، وتسيير شؤونهم، يجمع ذلك كله الدين الإسلامي والإمامة هاته يتولاها بالوراثة (ولاية العهد)أو باختيار أهل الحل والعقد، التصويت والانتخابات، أو بالغلبة والقهر، كما هو شأن الانقلابات، وقلب الأنظمة، حتى يستقر الحكم في يد شخص، أو يد جماعة، وهو الحكم المطلق.

2. الإمامة الصغرى، هي إمامة الصلاة، وهي ارتباط صلاة المؤتم بالإمام.

فالصلاة عبادة عظيمة، لا يقبل الله عملا إلا إذا قبلت، وإن ردت رد عليه سائر عمله، وهي العبادة التي ينادى لها خمس مرات في اليوم على المنائر (منارة) حي على الصلاة 2 حي على الفلاح 2، جماعة، وبإمام يتقدمهم، بحيث يصطفون خلفه في صفوف متراصة، يتبعونه في ركوعه وسجوده، وجلوسه وتشهده، من التكبير إلى السلام، وهي بسبع وعشرين درجة، أو بخمس وعشرين درجة، وفضائل أخرى كثيرة يعلمها الله، (والله ذو فضل عظيم).

إلا أن هذا الإمام الذي يتولى هذه الشعيرة وهذه العبادة، يتعين عليه أن تتوفر فيه هذه الشروط كي يقبلها الله، فعند الفقهاء: (إذا انعدم الشرط انعدم المشروط) ولنستمع لصاحب المرشد المعين، سيدي أحمد بن عاشر رحمه الله:

(شرط الإمام ذكر مكلف
آت بالأركان وحكما يعرف
وغير ذي فسق ولحن واقتدا
في جمعة حر مقيم عددا)

فشروط الإمام سبعة: أولا أن يكون ذكرا، فالمرأة لا تؤم، إلا الرجال ولا النساء في مذهب إمامنا مالك رحمه الله، وعند بعض المذاهب الأخرى تؤم النساء فقط، لا الرجال، مع الكراهة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (صلاة المرأة في بيتها، أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها)، لأن النساء لم يشرع في حقهن الجماعة، أصلا، ولم يشرع لهن الأذان كذلك، ويكره لهن حضور الجماعة مطلقا، ولو الجمعة والعيدين، والوعظ ليلا، كل ذلك خشية الفتنة، وتكره إمامة الرجل لهن في بيت ليس معهن رجل غيره، ولامحرم منه كأخته أو زوجته، أو عمته أو خالته، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يخلو الرجل بالأجنبية لما فيه من مخالطة الوسواس.

الشرط الثاني: مكلف بالغ، فالصبي لايؤم كونه لايميز ويلحق به المجنون والسكران، الشرط الثالث أن يكون قادرا على أدائها، فلا يصلي خلف عاجز أو مريض مرضا شديدا، الشرط الرابع أن يكون عارفا بأحكام الصلاة فقيها في جزئياتها، الشرط الخامس أن يكون غير فاسق، لاشاربا للخمر، ولا زانيا، ولا غتابا للناس، وليس قدريا في الاعتقاد، الشرط السادس، وليس لحانا في نطق الحروف، ويجب أن يكون فصيحا، يجود القرآن تجويدا، الشرط السابع: غير مقتد بغيره، فمن صلى خلف مسبوق بطلت صلاته، يعيدها أبدا.

هذه الشروط السبعة عامة في جميع الصلوات المفروضة التي تصلى جماعة، ويزاد عليها في صلاة الجمعة شرطان:

الأول أن يكون حرا، فهي لاتصح خلف عبد مملوك، والعلة في ذلك فهي لاتجب عليه، ولهذا منع من الإمامة في صلاة الجمعة.

الثاني أن يكون مقيما بالبلد، فلا تصح خلف مسافر، إلا إذا أقام أربعة أيام كاملة، ولم يكن قد حضر لأدائها، وإلا عومل بنقيض قصده.

فعلى المسلمين أن يتحروا، ويختاروا من يؤمهم، ويتقدمهم في عبادتهم، ففي الحديث : (أيمتكم شفعاؤكم، فاختاروا من تأتمون بهم).

وفي حديث آخر: (الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن).

ويقدم للإمامة أقرؤهم لكتاب الله، فإن تساوى اثنان أو أكثر، يقدم أفقههم وإن تساووا في القراء والفقه، يقدم أكبرهم سنا، فإن تساووا يقدم أحسنهم سمتا ووقارا، (التمسوا الخير عند حسان الوجوه)فإن تساووا كذلك يقدم أحسنهم هيئة ولباسا.

وهناك حالات . كانت في صدر الإسلام. وقد ذهب بها الزمن، وهي: يقدم أولهم إسلاما، فإن أسلما في يوم، أو حين، يقدم أقدمهم هجرة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) والسر في ذلك، أن أبا بكر رضي الله عنه جامع لهذه الفضائل كلها، أقدمهم إسلاما، وأقدمهم هجرة، وأكبرهم سنا، وأحسنهم سمة ووقارا وأقرؤهم لكتاب الله، وأفقههم في الدين.

لهذه المزايا كلها، قدمه المسلمون خليفة عليهم، فقالوا: ألا نقدم لأمور دنيانا ممن قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، وهكذا يأمر الإسلام ويتعامل المسلمون، والله عليم بالمتقين، وهو يتولى (الصالحين) والسلام.

فضل تلاوة القرآن وتعلمه

إعداد الأستاذ: عبد الرحمن شتور

■ الحمد لله الذي اصطفى من عباده حملة كتابه، وأوجب عليهم تجويده والعمل بما فيه، ووعدهم جزيل ثوابه، ووفقهم للمداومة على قراءته، وسقاهم لذيذ شرابه، وخصهم، بمزايا بين العباد، وجعلهم من خواص أحبابه فسبحانه من إلاه اختارهم وفضلهم على من سواهم لحفظ كتابه الكريم وصونه من التبديل والتغيير والتحريف، فحفظوه وصانوه عن الزيادة والنقص والتأخير والتقديم "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" فطوبى لمن تلاه حق تلاوته حتى صار ممتزجا بلحمه ودمه وأعصابه.

أحمده سبحانه وتعالى حمدا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده مدى الدهور والأزمان، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة نرتقي بها إلى أعلى منازل الجنان، واشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله القائل: من أراد أن يتكلم مع الله فليقرأ القرآن، صلى الله عليه وعلى أصحابه الذين نقلوا القرآن كما أنزل وعملوا بما فيه ومازاغوا عن تجويده وأحكامه وادابه وسلم تسليما كثيرا.

وبعد

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بتلاوة هذا القرآن وتدبره والعمل به والتمسك بهديه، ووعد الذين يتلونه ويعملون به أجرا عظيما، ومنزلة عالية في الجنة قال الله تعالى : "إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، إنه غفور شكور"سورة فاطر/الآية:30، وقد جاء في القرآن الكريم وفي كثير من الآيات فضل القرآن في القرآن أن عد إنزاله في شهر مزية لهذا الشهر، "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان" سورة البقرة/الآية:185 وبركة لليلة الذي أنزل فيها "إنا أنزلناه في ليلة القدر" (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) ومن فضله في القرآن نزول الرحمة عند سماعه.

"وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون" ووصفه بالعظمة "ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم".

ولكثرة فضائله تعددت أسماؤه وصفاته، وقد وردت في القرآن الكريم، أسماء وصفات القرآن كثيرة تنبئ كثرتها وتعددها عن مكانة القرآن العظيم ومنزلته السامية.

أما فضل القرآن في السنة النبوية فقد وردت فيه أحاديث كثيرة في بيان فضل القرآن الكريم من أجمعها حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يارسول الله؟قال: كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لاتزيغ به الأهواء ولاتلتبس به الألسنة، ولايشبع منه العلماء ولايخلق على كثرة الرد، ولاتنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: "إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به" من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم" رواه الترمذي ج172/5.

ولم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم أمرا فيه تشجيع على حفظ القرآن إلا سلكه، فكان يفاضل بين أصحابه في حفظ القرآن فيعقد الراية لأكثرهم حفظا للقرآن، وإذا بعث بعثا جعل إمامهم في صلاتهم أكثرهم حفظا للقرآن، ويقدم للحد في القبر أكثرهم أخذا للقرآن، ويزوج الرجل المرأة ويجعل مهرها مايحفظه الرجل في صدره من القرآن الكريم.

وقد أورد البخاري قصة هذه المرأة في صحيحه وجعلها تحت عنوان "باب القراءة عن ظهر قلب" وذكر فيها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرجل "ماذا معك من القرآن" قال: معي سورة كذا وسورة كذا عدها، قال: اتقرؤهن عن ظهر قلبك؟قال: نعم، قال: اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن" أي زوجتك إياها بما معك من القرآن الكريم. قال الإمام ابن كثير رحمه الله في فضائل القرآن "إن هذا الرجل تعلم الذي تعلمه من القرآن، وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلم تلك المرأة ويكون ذلك صداقا لها على ذلك" أي مهرا لها لأنه لايملك مالا يجعله مهرا. كما أفرد الإمام البخاري في صحيحه بابا للحديث عن منزلة حامل القرآن وجعله بعنوان "باب اغتباط صاحب القرآن" روى فيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لاحسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار" وفي رواية لمسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال" "لاحسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار.

وللحديث بقية إن شاء الله في الأسبوع المقبل.

هوامش:

. دراسات في علوم القرآن الكريم/الدكتور فهد الرومي.

. ورتل القرآن ترتيلا/للدكتور أنس أحمد كرزون.

المسامرة المكناسية التي أمليتها بالمدرسة الحربية

الحلقة الثانية

العلامة: محمد الحجوي

..... وقد جمع الله سبحانه في سورة الحجرات النهي عن كثير من رذائل الأخلاق ، وأقر بكثير من محاسنها ، فقال : « يأيها الذين ءامنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول ، كجهر بعضكم لبعض » ومن رفع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم رفع الصوت على الشيخ المعلم لأنه نائب عنه ، ورفع الصوت على من يقرأ القرآن أو الحديث والتخليط عليهما ، وعلى من يقرأ العلم قال تعالى : « وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » وحرمة رسول الله ميتا كحرمته حيا كما لابن عربي في أحكامه.

❖❖❖❖❖❖

وفي معنى ذلك رفع الصوت على الوالدين ، ولذا قال الله تعالى : « ولا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما » وقال لرسوله وأما السائل فلا تنهر فأمرنا وأمر نبيه أن لا ننهر السائل لحاجة أو عن مسألة من العلم ، بل نجيب بميسور من القول ، إن لهم يتيسر مطلبه

❖❖❖❖❖❖

قال تعالى : « واغضض من صوتك » وهكذا ينبغي لطالب العلم غض صوته عند والديه وشيخه ومع أقرانه في السوق ، ويكون لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ قال تعالى : «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك».

❖❖❖❖❖❖

وقال تعالى: « يأيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا (وفي قراءة فتثبتوا) ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين فأمرنا أن لا نثق بكل محدث ، ولا نصغي لأصحاب الوشايات وذوي الأغراض.

❖❖❖❖❖❖

وعلمنا التثبت في أمرنا كله ، وعدم الإسراع في الانتقام والمؤاخذة ، بل حتى نسأل ونتحقق، ولا يكون عقاب إلا بعد ثبوت الذنب ، وان لا نعمل بشهادة الفساق ، والكذابين ، قال قتادة لما نزلت هذه الآية قال:(ص) التثبيت من الله والعجلة من الشيطان ، وقال تعالى في هذه السورة الكريمة إنما المؤمنون إخوة ، فجعل كلمة التوحيد والإيمان بمنزلة نسب متصل بين عائلة متحدة فكل مؤمن أخ للمؤمنين ، ولذلك قال عليه السلام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، وقال المسلمون يد على من سواهم ، يسعى بذمتهم أدناهم.

❖❖❖❖❖❖

وأمر بإصلاح ما عسى أن يقع من التشاجر والتغالب فقال فاصلحوا بين أخويكم ، وقال يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن فنهانا عن الخلق الذميم وهو الاستهزاء والسخرية بالناس واللمز بالمصايب ، وتلقيب الناس بالألقاب القبيحة ، فكل ذلك يدل على خسة مرتكبة وفساد اخلاقه.

❖❖❖❖❖❖

كما نهانا أن لا نسيء الظن ببعضنا ، قال عليه السلام إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، فحسن الظن بالناس من الخصال الشريفة، قال عليه السلام خصلتان ليس فوقهما من الخير شيء حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله ، ولكن هذا إذا لم تعامل أحدا منهم في مال ، فإذا أردت المعاملة فاحترس منهم بسوء الظن كما في الحديث أيضا ، ولذلك أمر الله بالإشهاد قال تعالى « واشهدوا إذا تبايعتم» على أن سوء الظن المنهي عنه هو أن تعتقد النقص فيمن لا يقم لك دليل على نقصه بحيث يكون الاعتقاد راسخا في قلبك ، لأن الظن اعتقاد راجح ، أما مجرد خطور ذلك وتجويزه حتى تحترس وتشهد ، فهذا لاشيء فيه ، كما نهانا الله عن أن يتجسس المسلم على أخيه المسلم ، ويتتبع عوراته، وذلك من الخلق الرذيل أيضا ، هذا إذا لم تدع ضرورة لذلك، أما إذا دعت ضرورة واردت معاملته أو مصاهرته فلا بأس بالسؤال ، وكان صلى الله عليه وسلم يسأل الناس عما في الناس ، قال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ، فالغيبة ذكر أخيك بما يكره ، وهو فيه فإن ذكرته بما ليس فيه فقد بهتته كمال في الحديث فالبهت أقبح من الغيبة ، وفي حديث جابر أن الغيبة أشد من الزنا لما فيها من استحلال عرض المؤمن وتوبتها لا تتيسر إلا في التحلل منه وربما يكون قد مات بخلاف الزاني فتوبته لا تتعلق على رضى الغير ، وقد مثل تعالى الغيبة بأكل لحم الميت ، وزاد بيانا بقوله فكرهتموه أي فكذلك فاكرهوا الغيبة.

❖❖❖❖❖❖

روى البخاري وغيره موفوعا لايرمي رجلا رجل بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك . وفي الصحيحين أي رجل قال لأخيه كافر فقد باء بها أحدهما.

❖❖❖❖❖❖

وقال تعالى : «يأيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير» قال الثعالبي: معنى الآية أنتم سواء من حيث أنكم مخلوقون ، وإنما جعلتم قبائل لأن تتعارفوا ، أو أن تعرفوا الحقائق، وأما الشرف والكرم فهو بتقوى الله تعالى وسلامة القلوب ، وقرأ ابن مسعود لتعارفوا بينكم ، وخيركم عند الله أتقاكم ، وقرأ ابن عباس لتعرفوا بوزن تضربوا ، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال« من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله » وفي صحيح مسلم مرفوعا إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد .

❖❖❖❖❖❖

وروى أبو داود والترمذي موفرعا لينتهي أقوام يفتخرون بآبائهم ، إنما هو فحم جهنم ، أو ليكونن على الله أهون من الجمل، وإن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي ، كلكم بنو آدم وآدم من تراب ، فانظر هذا الحديث الشريف لمعنى الآية الكريمة ، كيف نهى عن الفخر بالآباء والاتكال على شرف الأجداد ليعمل كل واحد يعود عليه بالفخر والشرف الفعلي الفخر بالآباء هو من بقايا الجاهلية كما ورد في الحديث، فلا يتكل على شرف ءابائه إلا مغرور.

❖❖❖❖❖❖

وقد سوى الله بين المؤمنين في الحقوق ، وإن كان هناك حقوق لآل البيت النبوي عليهم السلام يجب علينا القيام بها ، كمحبتهم وتعظيمهم وغير ذلك من حقوقهم المقررة في محلها ولكن يجب عليهم أن يعملوا بها أيضا مع بعضهم بعضا ، وأن لا يتخذوها ذريعة للاتكال وعدم العمل.

❖❖❖❖❖❖

ويجب عليهم كغيرهم أن لا يحتقروا مسلما وأن يتصفوا بالفضائل ويتجنبوا عن الرذائل ، بل هم في ذ لك أوجب قال تعالى« يانساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين» ، زادهم الله شرفا وكرما ورفعة لان يكونوا خير خلف.

❖❖❖❖❖❖

ثم إنه تعالى جعل الشرف الأكمل في هذه الآية هو التقوى وهي اجتناب المنهيات، وامتثال المامورات ، فهي جماع الأمر كله.

وحاصل التقوى اجتناب المنهيات السابقة كلها وغيرها ، وامتثال المامورات كذلك، وبسبب هذه التقوى تتولد صفات كريمة وأخلاق عالية في الشخص تصير ملكة له من حلم وصبر ووقار وأناة وتواضع ولين جانب وصلة رحم وبرور وكرم ورحمة وشفقة وشجاعة وصبر وعفة ، وزهو وورع وإيثار وخوف ورجاء وفتوة وحياء وعلو همة ، فإذا اتصف الانسان بهذه الأوصاف كان انسانا حقيقية لا مجازا، وذلك هو معنى الانسانية عندنا ، ومعنى المدنية الأدبية الأخلاقية.

❖❖❖❖❖❖

ويجب علينا أن ننبهكم إلى التمسك بهذه الفضيلة الحقة ، فمن كان موصوفا بها كان فاضلا ، ومن لا فلا ، وهذا هو المقصود من التهذيب والتكميل والتمدن وإياكم أن تفهموا أن التمدن هو مخالفة أبناء جنسكم كتغيير اللباس المغربي الذي لا يخلو من نوع عبث وحشو في شكله ، فلباس الجندية هو من وظيفة غير معيب عليه لا شرعا ولا عادة ولا عقلا ، بل اللباس العسكري الوطني هو شرف في بابه ، وقد كان بنو العباس ، وبنو أمية وغيرهم يميزون الجند بلباس خاص ، وكذا أهل الشرطة وهو من نسميهم بالبوليس ، وكان الشيخ خليل بن اسحاق صاحب المختصر جنديا يلبس لباس الجند ويترزق مع الجند كما هو معلوم.

❖❖❖❖❖❖

وقد لبس صلى الله عليه وسلم جبة ضيقة الكمين كما في الصحيح ، وإن كان ذلك في السفر ولكن كونه في السفر ليس بمخصص كما هو مقرر ، أما مازاد على ذلك فهو ليس من وظائف الجندية فلا موجب للتحمل في مخالفة العادة فيه، ولا لعد تلك المخالفة تمدنا ، وكذلك من لم يكن في سلك الجندية فلا موجب لأن يخالف قومه ، ويشوش عليهم فضلا عن كونه يحتقرهم ، ويعد نفسه قد تميز عنهم مع أن احتقار الناس من حيث هو من رذائل الاخلاق والانسان إنسان بعلمه ، وأخلاقه لا بلباسه أو عوائده فالمطلوب منكم التقرب إلى شعبكم والتمسك بقوميتكم ، لينتفعوا بكم ويأخذوا عنكم ما فيه فائدة ، ولا ينفروا منكم بل لتستفيدون أنتم من محبتهم والتقرب إليهم.

❖❖❖❖❖❖

وأقول لكم اجهزوا على عادة مضرة ، أو هي مضادة للسنة ، فالمطلوب منكم تغييرها ، وتمسكوا بالسنة وأهذاب الشريعة، واتركوا عنكم الأوهام ، واعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ، وعضوا عليها بالنواجد وذبوا عنهما ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون.» وكونوا فيما بينكم إخوانا أشقاء ، كأسنان المشط ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، واتناصحوا بالدين فالدين النصيحة ، واتركوا المراء والجدل فيما بينكم ، واقتصروا على المذاكرة والاستفادة والإفادة مع إظهار الحق بحجته والانصاف لمن ظهر على لسانه ، وليحترم كل واحد منكم رأي صاحبه ، عند المذاكرة ، ولا يعنف عليه ابداءه وإن ظهر له أنه غير صواب، بل يحسن الأدب معه في المراجعة بلطف متى تمكن من ارشاده فلو أنك رددت عليه بعنف لتسبب في ضياع الحق لأنه يلتمس الحجج الواهية في تأييد رأيه ، وفي الغالب لا يعجز عنها ، فيتمكن الخلاف ويذهب الحق ، وليكن متكلمكم أولكم ، ولا تقع مراجعته إلا بعد فراغه من إبداء فكره.

كيف نتعامل مع ثراثنا الفقهي؟!

■ إعداد الدكتورة بشرى الشقوري

موضوعي..

التراث الفقهي بين المقدس والتاريخي

من أبرز الإشكالات التي يطرحها التراث الفقهي الإسلامي هي عدم التمييز بين أحكام الشريعة وبين أحكام الفقه الإسلامي .، فأحكام الشريعة هي مجموع الأصول والثوابت التي صيغت بأدلة قطعية سواء من الناحية الثبوتية أو الدلالية ، وهذه المسائل ندر أن يقع فيها اجتهاد أواختلاف ، أما الأحكام الفقهية فهي استنباطات فقهية لأحكام شرعية من أدلتها التفصيلية ، وطبيعي أن يترتب عن هذا النوع من الاجتهاد الفقهي اختلاف في وجهات نظر المجتهدين ، لأن لكل مجتهد آلياته وتنظيراته الخاصة.. وهو الأمر الذي يفسر ظاهرة بروز مجموعة من المذاهب الفقهية.

وفي هذا السياق نشير إلى أن المذاهب الفقهية ظهرت ونشأت منذ عصر التابعين ، وذلك عندما بدأ الفقه يتطور ويتسع تحت تأثير مجموعة من المستجدات الطارئة آنذاك على المجتمع الإسلامي ، خصوصا وأن العديد من الناس بدأوا يدخلون في الإسلام وهم يحملون معهم استفساراتهم وأسئلتهم حول أحكام الدين ، هذه التطورات حتمت على أهل النظر والفكر فتح باب الاجتهاد لاستيعاب ما يمكن استيعابه من تلك الإشكالات...

ومع مرور الزمن، اتسعت الاجتهادات الفقهية، وبدأت تتمايز يوما بعد يوم المناهج الاجتهادية ، فتمايزت مدرسة الأثر عن مدرسة الرأي . ثم نشأ مذهب أبي حنيفة ثم جاء مذهب مالك وبعده مذهب الشافعي ، فعملت هذه المذاهب جميعها على تيسير معرفة الأحكام الشرعية على الأمة.

وهكذا نشأ الفقه وتطور كاستجابة موضوعية لمجموعة من التحديات والنوازل التي طرأت على الحياة الإسلامية . كما أن قواعد علم أصول الفقه صيغت تدريجيا في سياق عملية الاستنباط الفقهي.. لذا يمكن التأكيد على أن الأحكام الشرعية في المنظومة الفقهية لم تأت كمبادئ نظرية وتقريرات مطلقة عديمة الصلة بالواقع ، إنما جاءت أحكاما حية ومرنة، شديدة الصلة بواقع متحرك مرتبطة بمجموعة من الأسباب والعلل والأحداث . وهذه الأحكام العامة مرتبطة في مجملها بمقاصد شرعية وتدور في فلكها.

إن ما سبق دليل ساطع على أن الفقه الإسلامي . خلاف منقول الشريعة . هو كسب/ اجتهاد بشري يتنوع ويتطور مع الزمان تبعا لاختلاف البيئات الثقافية والعادات الاجتماعية والأحوال المادية ، فكان من الطبيعي في هذا المناخ أن تتنوع مدارس الفقه وتتعدد مذاهبه وتتباين اتجاهاته ، وأن يولي الفقهاء كل الأهمية للمتغيرات المختلفة زمنيا وبشريا ومكانيا مما يؤكد على تلك الطبيعة التاريخية والموضوعية للفقه في كل عصر.

طبيعة المادة الفقهية في كتب التراث الفقهي

سبق أن أشرنا إلى أنه مع مرور الزمن ، وبفعل توالي عصور الركود والتراجع الفقهي اكتسبت مختلف الاجتهادات والمقولات قداسة في الواقع ، وأصبحت لها الأولوية على الوقائع المباشرة . وزاد الأمر تعقيدا مع إغلاق باب الاجتهاد تحت ذريعة حماية النص الديني من التلاعب والتحريف .فاستفحل الأمر بل وانعدم الاجتهاد الفقهي الذي كان من المفروض أن يستوعب الكثير من المستجدات الحياتية.

إن قراءة متأنية وعميقة لتراثنا الفقهي تكشف عن قصور في جانب كبير من رصيدنا الفقهي ، خاصة إذا ما طالبناه باستيعاب متغيرات واقعنا المعاصر ، فبالرغم مما يحتوي عليه هذا التراث من ذخائر شاهدة على رقيه في لحظة من لحظات تاريخه الطويل ، وعلى ما فيه من أمور باقيات وصالحات لهذا الزمان ، إلا أنه مع ذلك لم يعد قادرا على أن يفي بمتطلبات الحياة المعاصرة ومستجداتها، لذلك فقد دوره الريادي الذي كان يضطلع به في ما مضى . وترد عدة مبررات تبرهن على عدم قدرة الفقه التقليدي الموروث على مواكبة مسيرة التطور الهائل الذي يطرأ على مختلف مرافق الحياة المادية يوما بعد يوم.

إن الفقه الإسلامي زمن نشأته كان مؤسسا على علم محدود بطبائع الأشياء وحقائق الكون وقوانين الاجتماع ، كما أن العلم العقلي النظري كان محدودا أيضا. كما تطورت شبكة العلاقات الاجتماعية وتغيرت ، ولم تعد بعض صور تلك الأحكام تتطابق ومقتضيات مقاصد الدين ، لأن الإمكانات قد تبدلت وأسباب الحياة قد تطورت والنتائج التي تترتب عن إمضاء حكم معين بصورته السالفة قد انقلبت انقلابا تاما.

لذلك لم يكن من الممكن للفقه التقليدي . المرتبط بالظرفية التاريخية التي نشأ فيها . أن يحتوي مختلف تلك المتغيرات ، كما لم يعد قادرا على الاستجابة لمختلف التفاعلات التي يطرحها الواقع المعاصر.

ثم إن قصور المنهج الاجتهادي التقليدي الذي يبتني على أصول الفقه القديم عن استيعاب مختلف المرافق الواسعة من الحياة المعاصرة جعل تنظيرات الفقهاء واجتهاداتهم في الأمور الغير المنصوص عليها غالبا ما تفتقر إلى التحليل والإضافة ، وتتسم في الغالب بالنقل والاجترار ، وإعادة صياغة أقوال السلف بمعزل عن الواقع المعيش وأحوال الناس ، لذلك طغت ظاهرة استعمال القياس في الأحكام الاجتهادية الجديدة ، باعتباره الوسيلة الوحيدة التي يوفرها علم أصول الفقه لاستنباط أحكام الوقائع غير المنصوص عليها في الكتاب والسنة.

وتتضح لنا هذه الأزمة بشكل جلي عند استقرائنا لمختلف الأدبيات التي نظرت للولايات الشرعية أو لموارد بيت المال ، حيث إن اعتماد هذه الكتب على النقل والقياس وغياب التنظير والإضافة ظاهرة / أزمة بادية للعيان.

التراث الفقهي وحاجته إلى تجديد النظر

إذا كان تجديد الفقه الإسلامي أضحى ضرورة من ضروريات الواقع الراهن ، فإن من آليات هذا التجديد الفقهي تنقية التراث الفقهي مما علق به من تفسيرات وفهومات بشرية كانت خاضعة بالدرجة الأولى لعاملي الزمان والمكان . أي إن عملية التجديد تتطلب ، كخطوة أولية، التمييز في هذا التراث بين ماهو تاريخي وما هو شرعي مقدس، وضمن هذا الإطار كان لابد من النظر إلى التراث الفقهي القديم كإنتاج بشري متأثر بالتاريخ ، وليس بصفته عين الدين. وقد اختلفت وجهات نظر الباحثين المعاصرين حول هذه القضية ، وظهرت اتجاهات مختلفة في مقاربتها لكيفية التعامل مع موروثنا الفقهي ، ويمكن في هذا الصدد رصد ثلاث اتجاهات على الأقل ، وهي اتجاه تقليدي سلفي يمزج بين المقدس والتاريخي في الكتب الفقهية التراثية ، حتى أضحى الكثير مما هو تاريخي ، في نظره ، مقدسا أيضا ، وهو الأمر الذي أثر سلبا على استيعاب مجمل القضايا المستجدة..

واتجاه يتمسك بضرورة التعامل المباشر مع النص الديني وتجاوز أي موروث فقهي باعتباره يعبر عن لحظة تاريخية معينة ، واتجاه معتدل يحاول خلق نوع من التوازن بين كلا الاتجاهين ، ويقيم حدودا فاصلة بين ما هو من قبيل الثوابت ، وبين ما هو من قبيل المتغيرات .. مما يفتح المجال واسعا لإعادة النظر في التراث وصياغته وفق منهج علمي

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

مؤسسة ابن البيطار في اليوم العالمي للمعاق

دعيت إلى مدينة الخميسات لحضور حفلة ثقافية فنية بمناسبة اليوم العالمي للمعاق نظمتها مؤسسة ابن البيطار التي يخصها برعايته السامية جلالة الملك الشاب محمد السادس ، وقد زارها حفظه الله مرتين متفقدا أحوالها ، مسبغا حبه وحنانه على نزلائها الفقراء من الأطفال والبنات والشبان ، وإلى عهد قريب كانت المؤسسة في الأصل عبارة عن براريك ومباني صغيرة يسهر على تسييرها الأنجليزيون ، كانت مأوى لمجموعة من الأطفال المعوزين ، زارتها الملكة البريطانية إليزابيت مرتين أثناء رحلة قامت بها للمغرب.

وعلى أنقاض تلك البنايات المتناثرة شيدت اليوم بتعليمات وتوجيهات جلالة الملك مؤسسة كبيرة تتوفر على عدة مرافق لسكنى المعاقين وإقامتهم ومطاعم خاصة بهم وللأساتذة والمعلمين، وحجرات مدرسية لتلقي الثقافة والعلوم ، ومسابح ومعامل للتكوين المهني والتقني والمعلوماتي مجهزة بأحدث آلات الكمبيوتر والأنترنت.

وفي القاعة الفسيحة المخصصة للعروض المسرحية والحفلات الموسيقية والمحاضرات أقيم الحفل الرائع بحضور سلطات المدينة وعلى رأسهم السيد رئيس الدائرة ومندوبون من التعاون الوطني ونخبة من الأدباء والفنانين والشعراء ، وتميز برنامج الحفل بعروض شيقة ومؤثرة في نفس الوقت شاهدت خلالها أطفالا في عمر الزهور ينشدون أمام الجمهور ويرفعون أصواتهم الملائكية معلنين بأن الإرادة هي طريقهم إلى العمل وخدمة الوطن وأن الإعاقة لا تقف دون تحقيق طموحاتهم ومستقبلهم. ولفت انتباهي طفل جالس على كرسي متحرك يلبس نظارة طبية ، جميل الصورة ، حملوه إلى وسط المنصة وقربوا له الميكروفون، وبين مجموعة من زملائه وزميلاته أطلق الإشارة لعزف النشيد الخاص بالطفل المعاق ، وعلا صوته الشجي المتميز بأداء رائع ، أطرب الجمهور المحتشد في القاعة . كان أشبه ما يكون " بالمايسترو" الذي يسير الفرق الموسيقية ، ولا أكتم حالة الانفعال والتأثير .. وأنا أتأمل ملامح البراعم وهم ينشدون ويملأون بأصواتهم الرقيقة قاعة الحفل ، نعم تأثرت لمشهدهم هذا ، بل انفجرت دموعي وأنا أراهم يتحركون ويجيئون وهم فوق الكراسي، ويضطرون إلى من يحملهم ويساعدهم للوصول إلى وسط المنصة لأداء أدوارهم المسرحية والموسيقية لا حول لهم ولا طول ، خرجوا إلى الدنيا عاجزين وبمشقة يواجهون حياتهم الصعبة لكن الله شاء أن يعوضهم بالعطف والحنان ، فقيض لهم أبا حنونا أسبغ عليهم حبه الكبير وبهذا الحب الأبوي أشرف بنفسه على تشييد مؤسسة ابن البيطار التي تضم تلك البراعم الصغيرة المتفتحة للحياة، فلقد أصبحت صرحا عظيما لتربية أطفالنا المعوقين ، يتلقون دروسهم في مختلف المجالات: في الرياضة، وفي الرسم ، وفي الانترنت ، وفي سائر العلوم ، لقد تسلحوا بالإرادة ولم تعد الإعاقة حاجزا بينهم وبين الحياة، وشاءت العناية المولوية أن تأخذ بيد هذه الفئة العزيزة من أبناء وطننا الحبيب كي تشق طريقها نحو المستقبل بفضل رعاية ملك شاب يحب شعبه ويسهر على إعلاء شأنه بين أمم العالم .

أقوال عدد من العلماء في المولد النبوي والاحتفاء به..

إعداد الأستاذ: عبد الله كديرة

■ قال الإمام أبو شامة شيخ الإمام النووي رحمهما الله:« ومن أحسن ما ابتدع الناس في زمننا ، ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء مشعر بمحبة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، وتعظيمه في قلب فاعل ذلك ، وشكر الله تعالى على ما من به من إيجاد رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين».

2 . وقال الإمام السخاوي رحمه الله تعالى:

إن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة الأولى، ثم لازال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم....»

3 . وقال الإمام القسطلاني رحمه الله تعالى :

«... ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ، ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ، ويظهرون السرور ، ويزيدون في المبرات ، ويعتنون بقراءة مولده الكريم ، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم ، ومما جرب من خواصه أنه أمان في ذلك العام ، وبشرى عاجلة بنيل المرام ، فرحم الله امرأ اتخذ ليالي شهر مولده أعيادا....»

4 . وأما الإمام الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى فقد قال في أول رسالته القيمة : (حسن المقصد في عمل المولد):

« إن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس ، وقراءة ما تيسر من القرآن ، ورواية الأخبار الواردة في مبدإ أمر النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وما وقع في مولده من الآيات ، ثم يمد لهم سماط يأكلونه ، وينصرفون من غير زيادة على ذلك ، من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها ، لما فيها من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، وإظهار الفرح بمولده الشريف صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ....»

5 . أما الفقيه ابن الحاج رحمه الله تعالى ، فقد قال في مدخله :« أشار عليه الصلاة والسلام إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله للسائل الذي يسأله عن صوم يوم الاثنين : « ذلك يوم ولدت فيه» . فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذي ولد فيه ، فينبغي أن نحترمه حق الاحترام ، ونفضله بما فضل الله به الأشهر الفاضلة.

6 . وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله:

«... فتعظيم المولد واتخاذه موسما ، قد يفعله بعض الناس ، ويكون له فيه أجرعظيم ، لحسن قصده ، وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم....»

البدعة وأنواعها :

لاينكر أحد ممن استشهدنا بأقوالهم أن عمل المولد (بدعة) ، ولكن لنحاول أن نرى رأي العلماء في "البدعة" :

1 . يقول الأستاذ العلامة حسن الشيخ الفاتح الشيخ: « البدعة لاتذم لذاتها ، ولا تحمد لذاتها ، فكما أنه ورد بشأنها : إن كل بدعة ضلالة) فقد ورد بشأنها:« من سن في الإسلام سنة حسنة ، فعمل بها من بعده ، كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيء» هذا وحيث إنه عند تعارض الأحاديث يلجأ العلماء إلى التوفيق ، فقد أفتى العلماء لهذا بخطإ التعميم على كل المحدثات بأنها ضلالة، وقالوا : إن في البدع أو المحدثات ماهو واجب ، كوضع العلوم وتعليمها ، وإقامة المدارس ومنها ماهو مندوب كالتوسع في مرافقها ومنافعها، ومنها ما هو مكروه ، كالإسراف في تزويقها وتنميقها في غير ضرورة ، ومنها ماهو محرم كتلحين القرآن الكريم بما يخرج بألفاظه عن وضعها العربي ، ومنها ما هو مباح ، كوضع الأطعمة على الموائد ، والأكل بالملاعق والشوك ...الخ».

2 . وقد أكد الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله أن البدعة منقسمة إلى : واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة، ومباحة .. وأن الطريق في ذلك أن نعرض البدعة على قواعد الشرع، فإذا دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة ، أو في قواعد التحريم فهي محرمة، أوفي الندب فمندوبة ، أو في المكروه فمكروهة ، أو في المباح فمباحة...

3 . والناس في شهر المولد النبوي عموما ، وفي ليلة المولد خصوصا ، يجتمعون . كما قال الإمام السيوطي . لإظهار شعار المولد .. وأقل ما يقال عن اجتماعهم هذا لغرضهم النبيل هذا : إنه مندوب ، وإنه من القربات ، لأن ولادته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من أعظم النعم التي من الله بها علينا ، ولشكر هذه النعمة، وإظهار التحدث بفضل الله علينا ونعمته نجتمع .. وكل عمل المؤمن إذا حسنت فيه نيته، وقصد به وجه الله، لا لرياء ولا نفاق ولا شقاق ، فهو عمل صالح يؤجر عليه إن شاء الله ... ويعجبني في هذا المعنى قول الشريف العالم السيد محمد بن علوي الحسني المالكي رحمه الله :« ... والحاصل أن الاجتماع لأجل المولد النبوي أمر عادي ، ولكنه من العادات الخيرة الصالحة التي تشتمل على منافع وفوائد تعود على الناس بفضل وفير... وإن هذه الاجتماعات هي وسيلة كبرى للدعوة إلى الله ، وهي فرصة ذهبية لا ينبغي أن تفوت ، بل يجب على الدعاة والعلماء أن يذكروا الأمة بالنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وبمعجزاته وأخلاقه وآدابه وأحواله ومعاملاته وعباداته.. وأن ينصحوهم ويرشدوهم إلى الخير والفلاح ، ويحذروهم من البلاء والبدع والشر والفتن ...

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب»

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من وحي طبيعة المغرب الجميلة

فصل

الرَّبِيعُ

شبابُ الزَّمان — شعر أحمد البُقيدي

وزان

الربيعُ الطَّلقُ آتٍ — بَعْدَ فصلِ المُعْصِراتِ
يَملأُ الدُّنيا جَمالا — بوُرُودٍ زاهياتِ

****

ويَطيبُ الجوُّ فيهِ — بعَبِيرِ النَّسَماتِ
تَكْتَسي كُلَّ الرَّوابي — بُرْدَ زَهْرٍ ونَباتِ

****

إنَّ مِنْ عَذْبِ السَّواقي — بَيْنَ نَهْرٍ وقَناةِ
تَنْشُجُ الخِصْبَ شَبيهاً — ببساطِ الحَفَلاتِ

****

هذه الطَّيرُ تَغَنَّتْ — بلُحُونٍ شاجياتِ
والفَراشاتُ تَباهتْ — بثِيابٍ زاهياتِ

****

والنُّحَيْلاتُ تَنادتْ — لِرَحيقِ الزَّهَراتِ
كلّ ما في الكَون يَبْدو — مُسْتَهيماً بالحَياةِ

****

فالرَّبيعُ الطَّلْقُ فَصْلٌ — مِنْ فُصولِ المَكْرُماتِ
يَتَجَلَّى فيه حَقّا — فَضْلُ رَبِّ الكائناتِ

أحمد البُقيدي

وزان

حركة العلوم والأدب بمدينة تازة

■ د. ربيعة بنويس
-كلية الآداب والعلوم الإنسانية -القنيطرة

■ إن المكانة العلمية التي تمتعت بها تازة في ظل الحكم المريني وما بعده ، سيكون من مخلفاتها كثرة الفقراء والأدباء والشعراء والمتصوفة الذين ينتسبون لهذه المدينة وساهموا بنصيب كبير أو قليل في تفعيل الحركة العلمية بها من جهة ، وببعض المدن المغاربية من جهة ثانية ، خاصة ، إذا علمنا بأن أغلب النابغين في هذه المدينة قد رحلوا عنها إلى المدن العلمية الكبرى ، مثل فاس خاصة، والسبب في ذلك يعود إلى القيمة العلمية الواسعة التي اكتسبتها هذه المدينة(فاس) ، بحيث لا يعترف لعالم أو باحث بالتفوق إلا إذا درس بفاس ودرس بمدارسها أو وصل إلى أحد كراسي القرويين .

فضلا عن « رجال الحكم في هذه المراكز العلمية ، حيث كانوا أحيانا يعملون على استقطاب أعلام الفكر والأدب والدين ليكونوا بجانبهم ، لأنهم يعتبرونهم زينة مجالسهم ، وواسطة عقدهم لا يستغنون عنهم بحال».

ويكفي دليلا على ذلك ، الأسطول الذي غرق بشاطئ تونس والذي كان من ضمنه الكثير من العلماء الذين يفوق عددهم الأربعمائة ، رافقوا أبا الحسن المريني في حملته على تونس ، ومن هؤلاء العلماء الذين كان نشاطهم الثقافي وإنتاجهم الفكري خارج بلدهم نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

. محمد بن محمد البقال التازي " الفقيه الفيلسوف (ت 725هـ) « أخذ أولا بتازة علم الفرائض على أبي عبد الله العباس بن مهدي ، والنحو والكلام على أبي عبد الله الترجالي ، واستوطن فاسا .. ثم أخذ أخيرا في التفسير والفقه الخلافي ، كان له حظ وافر من اللغة والأدب والبيان والعروض والشعر والكتابة .. توفي بفاس ودفن داخل باب الفتوح».

. إبراهيم التسولي التازي : الملقب بـ " ابن أبي يحيى " السفير المغربي لدى أبي الحسن المريني ، والذي توفي بفاس سنة 748هـ أحد أساتذة لسان الدين بن الخطيب بمدرسة عدوة الأندلس من فاس،

. الشاعر " أحمد بن شعيب الجزنائي "

الحلقة الثالثة

الذي اتخذه أبو الحسن المريني كاتبا في ديوان إنشائه، والذي مات غرقا بشاطئ تونس(749هـ)

. الفقيه النوازلي " أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي " حامل راية المذهب المالكي بالمغرب ، ولي قضاء الجماعة بفاس ، من مؤلفاته شرح التحفة وشرح الشامل

. يحيى بن الحسن التسولي التازي " ، المعروف بـ " ابن دلامة" الكاتب، صاحب العلامة ، ومعناه الذي يتولى التوقيع باسم السلطان ، ويضع شارته على المخاطبات والمراسيل الملكية ، عمل كاتبا لثلاث ملوك مرينيين.

. الشاعر الصوفي " الشيخ إبراهيم التازي : دفين وهران،

إضافة إلى ما ذكر ، ساهم علماء تازة وفقهاؤها وشعراؤها بنصيب وافر في تنشيط الحركة الفكرية بين أقطار المغرب العربي بفضل الرحلات التي كان يقوم بها هؤلاء ، أو عن طريق الرسائل العلمية المتبادلة بين الطرفين.

ومن هؤلاء لا بأس من الإشارة إلى:

. الشاعر " أحمد بن شعيب الجزنائي " السابق الذكر الذي « رحل إلى تونس وأخذ الطب والهيئة على الشيخ يعقوب ابن الدارس، وأبي عبد الله محمد السطي الأوربي " المفتي ، نزيل فاس ، وهو من أساتذة ابن خلدون ومحمد المقري والعبدوسي وابن مرزوق الخطيب ، عمل مدرسا بحضرة أبي الحسن المريني بفاس ، ومات غرقا ضمن أسطوله بشاطئ تدلس بتونس سنة 750هـ .

لكن يبقى " الشيخ إبراهيم التازي والشيخ أحمد زروق البرنوسي" أهم شخصيتين أثرتا وتأثرتا بالثقافة السائدة بين أقطار المغرب العربي ، وخاصة ما يهم الجانب الصوفي:

. فالشيخ إبراهيم التازي الملقب بـ " سلطان العلماء والأولياء" ، عاد من رحلته التي قام بها إلى مكة والمدينة، ليمر على تونس ويأخذ على كبار علمائها ويعرج على تلمسان ويأخذ العلم على عالمها الكبير" بن زروق " ويحط الرحال بعدها في مدينة وهران حيث التقى بأساتذه " الشيخ محمد بن عمر الهواري " فأخذ عنه العلم وجلس بعد وفاته للتدريس مكانه " ، وبوهران أسس زاويته « ضمن مجمع ديني عمت مؤسساته المدينة،

. وبعد الشيخ إبراهيم التازي ، نتحدث عن الشيخ أحمد زروق ، " محتسب العلماء " الذي غادر بلده في خضم الأحداث العنيفة التي كانت تمر بها ، واستقر بليبيا وبمصراتة كانت وفاته ، وبها وجدت زاويته التي لم تنشأ إلا بعد وفاته ، والتي أصبحت مقصدا للحجاج والمتصوفة الزروقيين.

وقرب روضة زروق ، وجد مسجد كان الشيخ زروق قد اتخذ منه مدرسة ومجمعا ، هذا المسجد الذي يحمل اليوم اسم " الجامع العالي" ، ولا يبعد عن ضريح الشيخ زروق إلا بخطوات ، وتصلى فيه الجمعة ، وبه كان الشيخ يعطي دروس ، بل في ذلك المسجد ألف زروق أغلب مؤلفاته التي طارت شهوتها عبر أنحاء العالم.

. أما الشيخ محمد بن يجبش التازي ، فإن لم يكن قد رحل إلى الحج ، ولا إلى بلدان المغرب العربي ، فإنه ، مع ذلك ، جمعته علاقات علمية حميمة مع مجموعة من العلماء والأدباء والفقهاء بتلك البلدان ، وذلك بواسطة المراسلات العلمية وتبادل الشهادات والإجازات، وخاصة مع الشيخ الإمام " أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي" أحد أعلام تلمسان، وأوليائها الكبار ، قال شعرا يمدح فيه مؤلفاته القيمة ، كما أشار إلى ذلك صاحب " المواهب القدوسية في المناقب السنوسية"

وللشيخ ابن يجبش مكاتبات أخرى وتبادل الشهادات مع عالم آخر هو العلامة التلمساني النشأة والقراءة ، الفاسي الاستيطان والقرار ، أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت 914 هـ) ، وقد كانت له مع الشيخ ابن يجبش علاقات ومراسلات ، يتضح ذلك من التخميس الذي نظمه على قصيدة شعرية قالها الونشريسي في مدح كتاب له بعنوان " إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك"

بالإضافة إلى ما ذكر ، فإن العديد من المؤلفات المغربية التي كان مؤلفوها ينتسبون لمدينة تازة كانت رائجة ومتدارسة بين أقطار المغرب العربي ، نذكر منها منظومة " الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع" لأبي الحسن علي بن محمد بن علي ابن بري التازي الدار، التسولي النجار(ت 731هـ) ، يبلغ عدد أبياتها أربعمائة وسبعين وأربعمائة بيت ، قال في مطلعها:

الحمد لله الذي أورثنا
كتابه وعلمه علمنا
حمدا يدوم بدوام الأبد
ثم صلاته على محمد

دون أن ننسى مؤلفات الشيخ أحمد زروق الوافرة التي عرفت شهرة كبيرة ليس في دول شمال إفريقيا فحسب بل في كل أرجاء العالم ، ثم قصائد الشيخ إبراهيم التازي التي راجت بشكل كبير في الجزائر وخاصة بوهران حيث كثر أتباعه ومريدوه.

وهدفنا من هذا الجرد لبعض علماء تازة ، هو إبراز القيمة الفكرية لهذه المدينة سواء من خلال علمائها الذين استقروا وماتوا بها أو من خلال أعلامها الذين تركوها إلى مدن ودول أخرى نتيجة عوامل فكرية وسياسية مختلفة ، ومن هذا العرض تبين أن الثقافة التي سيطرت على الجانب الفكري والعلمي لأعلام تازة هي الثقافة الدينية الفقهية ، على اعتبار أن جل كتابها وشعرائها وأطبائها ومتصوفيها فقهاء ، وهذا لا يتنافى مع الخط الفكري العام الذي كان سائدا في البلاد المغربية ، سواء مع الدولة المرينية أو الدولة الوطاسية أو الدولة السعدية ، من حيث سيطرة المواد الدينية التي يعتبر المذهب المالكي أساسا لها.

الكلمة الطيبة

إعداد الأستاذ: عبد السلام شفيق

الحديث ..عن الكلمة الطيبة ، يقتضينا ، أن نقدم تعريفا وحيزا لـ:(الكلمة) من حيث هي ، مجردة عن الصفة، على ذلك ، يساعدنا، على استجلاء ما قصدنا إليه ، فيما نحاوله من الكتابة في هذا الموضوع.

تعريفها :

الكلمة .باعتبارها لفظا فهي : ذات حروف وأصوات ومقاطع ينطقها اللسان والشفتان ، بنبرات صوتية متميزة خص الله تعالى بها آدم وبنيه من خلقه..

وظيفة الكلمة وأهميتها ...

فهي الوسيلةالأولى للتخاطب والتعارف والتحاور ، بين جميع الأجناس البشرية ..وعن طريقها يتحقق التعلم والتعليم وعبرها يتم تبادل المنافع والمصالح بين الناس ..

إنها ميزة للإنسان ومكرُمة لهُ.

واعتبارا لذلك ، جاء التذكير بهذه المنة الربانية العظيمة على الإنسان ، بقوله تعالى : (ألم نجعل له عينين ولسانا ، وشفتين وهديناه النجدين..)

مجال استعمالات الكلمة

ربنا . جلت حكمته . كما نبه في كتابه العزيز في معرض الامتنان بالنعمة . الى وظيفة الكلمة لدى الإنسان ، في التعبير ، عن آرائه واحتيا جاته وطموحاته .. وذلك في قوله تعالى:« (.. الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان .. علمه البيان..).

فقد أرشدناجل علاه، إلى تحري الدقة والضبط ، في اختيار الكلمة ، وإلى حسن استعمالها ، في التعبير ، عن تلك العواطف والمشاعر والأحاسيس الإنسانية العليا ، من خلال هذا المثل القرءاني الرائع ، بقوله تعالى: (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة، كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون...»

تعريف الكلمة الطيبة

إذا جاز لنا أن نعرف الكلمة الطيبة فنقول: .إنها الكلمة اللطيفة الهادفة المعبرة بصدق ، عن معنى شريف ، وقصد نبيل ، تلك التي تصدر. في عفوية وتلقائية . عن نفس رضية زكية ، نزاعة للخير ، داعية إلى البر، في ثقة وهمة ، وتواضع ووضوح وتجرد عن الهوى

. إنها كلمة تعطي الدليل من نفسها .. على نضج وعي قائلها ، وعلى مدى اقتناعه وتشبعه بها، وعلى نبل مقصده، إلى صدق تمثله لأخلاقيات الإسلام من خلالها « وكل ءانية تنضح بما فيها ..» عما جسده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث جامع هذا صدره: « إن الصدق ، يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق ، حتى يكتب عند الله صديقا...»

مصداقية الكلمة الطيبة

كما رأينا في التعريف أعلاه، أن (الكلمة الطيبة تنبئ عن نفسها بنفسها ، فلها من الإشعاعات ، والشواهد الحية من ذاتها ، مايدل على مصداقيتها وواقعيتها وحيويتها .. إنها كلمة الحق والصدق والحب والوفاء والبناء والعطاء والنماء .. مما يوحي به ذلك التشبيه القرآني في الآية الكريمة الآنفة الذكر : لـ (الكلمة) الطيبة ب: (الشجرة) الطيبة ... في أصالتها وصدقيتها، ورسوخها وثباتها وشموخها ، وعطائها المثمر المستمر البناء كما وصفها الحق سبحانه وتعالى:(.... أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين ، بإذن ربها...)

مقاربة توضيحية...

بإعمال الفكر ، وإجالة النظر .. في رسم الصورة البيانية المتمثلة ، في تشبيه :(الكلمة الطيبة) ب :(الشجرة الطيبة) في المبنى والمعنى . ندرك . وبجلاء ووضوح : المقاصد والأبعاد: التعبدية والانسانية والكونية لـ : (الكلمة الطيبة) ، في تثبيت علاقتنا بالله سبحانه وتعالى:.. وفي توطيد علاقتنا ببعضنا بعضا، وفي تطبيع علاقتنا بالكون والكائنات من حولنا ، من خلال : (الشجرة الطيبة) والكلمة الطيبة : (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة...

ف : (الشجرة الطيبة) ، بأوصافها المجلوة في الآية الكريمة : إنما هي رمز للحياة.. الغضة الطرية الندية الجديدة المتجددة ..! ونحن . ندرك جيدا .. أبعاد هذا التشبيه المستمد، من البيئة الطبيعية (كلمة طيبة كشجرة طيبة...

وندرك .. كذلك، ما تعنيه :(الشجرة) في محيطنا في الحفاظ على التوازن البيئي .. إلى ما تمثله الشجرة عموما ، في حياة الإنسان ، من أنس وخصب ورواء ونعماء واستقرار وتجدد وعطاء ، متنوع الطعوم مختلف المنافع ! مما ابدعته فيها يد العناية الإلاهية.. من بدائع الصنع وآيات الجمال والجلال : (فتبارك الله أحسن الخالقين...)

... والشأن كذلك ، بالنسبة ، لـ : (الكلمة الطيبة) فهي كـ: (الشجرة الطيبة) أنها : بعث وإحياء ، وعطاء ونماء ، وتجديد للحياة والأحياء ، حينما تصير الكلمة الطيبة ، بشير خير ، ووسيلة بناء كما أريد لها أن تكون وطريقا واصلا موصلا إلى : رب العزة والجلال : كما اخبر تعالى في كتابه العزيز (.. إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه).

الكلمة الطيبة معراج المؤمنين:

الكلمة الطيبة : كما رأينا في الآية الكريمة:(.. إليه يصعد الكلم الطيب ...) إنها تصل الانسان بربه سبحانه وتعالى.... وأعظم كلمة ، وأطيب كلمة ، تشد المرء إلى خالقه ويظل حبله ممدودا موصولا بربه : كلمة " الشهادة" : لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله لما روي عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلت: أنا والنبيون من قبلي:

لاإله إلا الله»

وكلمة التوحيد هذه هي : (الشجرة الطيبة) على سبيل الحقيقة !! وكل سلوك يمارسه المسلم ، يكيف على ضوء مقتضياتها ويعير بمعيارها !.. ومن ذلك تقويم اللسان ، وترويضه على الطيب من القول! فربنا جل علاه : جعل استقامة اللسان دليل الاهتداء إلى صراطه المستقيم كما نرى في هذه الآية الكريمة :(وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد....)

الكلمة الطيبة دعامة التعايش بين الناس

فكما أنها مفتاح باب السماء ، ومعراج المؤمنين إلى ربهم:(إليه يصعد الكلم الطيب...) . ومثال الطهر والعفاف واستدرار لرحمة الله ورضاه، الذي إليه تطمح نفوس العارفين...

.فالكلمة الطيبة جسر مديد للتعارف والتواصل والتعايش وسبيل للإصلاح والفلاح تبني علاقات إنسانية ، على مستوى رفيع من التعاون بين الناس :(لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس....)

وتحقيقا لتلك الأهداف النبيلة ، والغايات الشريفة جاء التأكيد في كتاب الله تعالى ، وعلى لسان نبيه الكريم : على اعتماد الكلمة الطيبة في جميع المجالات ، ومع كافة الناس...

.في مجال الدعوة إلى الله تعالى يؤكد الحق سبحانه على حسن عرضها وتقديمها للناس ، في ثوبها الإسلامي الجميل : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ...) هذه رسالة الله الإسلامية منذ إشراقها على يد خاتم الأنبياء والمرسلين ، عبرت إلى أقطار مختلفة من العالم عن طريق الكلمة الطيبة ومن هنا يبرز لنا البعد الإنساني ... لـ : (الكلمة الطيبة) في الحديث النبوي الشريف «.. والكلمة الطيبة صدقة) ، وكونها صدقة يعني أنها عبادة ممثلة ، في حسن مخاطبة الناس ! حتى في حالة إلقاء التحية المشروعة ، أو في حال عرض كلمة الحق الأبلج الأظهر ، يحسن عرضها في صورة لائقة مشوقة ، تغري بالتجاوب وتبعث على الاطمئنان ، والرضا والقبول والارتياح ، صونا للكرامة الإنسانية : « ولقد كرمنا بني آدم ...»

. إن الدعوة إلى الحق تقتضي من الداعي إليه تخير القول الحسن الذي يحمل رسالة الحق .. إلى الناس « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين .. ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن..»

فربنا جل علاه ، دائما يؤكد على استعمال(الكلمة الطيبة) : (القول الحسن) :(.. وقولوا للناس حسنا) وعلى استعمالها مع الناس جميعا : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ...»

الكلمة الطيبة وتحصين الأمة

فيما عرضنا من الآيات البينات .. دلالات وإيحاءات ناطقة .. بمدى قدرة(الكلمة الطيبة) على لم شعَث الأمة وتحصينها، بإيجاد روابط اجتماعية ودية ، وعلاقات إنسانية راقية ، بين أبنائها ، وبين الأمم والشعوب الأخرى عبر العبارة اللطيفة و (الكلمة الطيبة) التي تجد لها مكانا رحبا في القلوب :(وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا...

... ألا ..فما أعظم الكلمة الطيبة !! كلمة الود والصفاء والوفاء ..

وما أكرم على الله .. من حسن علاقته بالله وأحسن التعامل مع عباد الله : قولا وعملا .. فالخلق : عيال الله .، و"أحب الناس إلى الله أنفعهم لعياله (لعباده).

وما أسعد "الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب".

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1111
السنة39
الجمعة 06 ربيع الأول 1426 هـ
الموافق 15 أبريل 2005 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا
للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1111 الجمعة 06 ربيع الأول 1426 هـ .الموافق 15 ابريل 2005م

قراءة في قسم المقاصد من "الموافقات" للشاطبي

■ إعداد الدكتور: محمد منصيف العسري

الحلقة الثانية

2.1. قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام:

أهم ماذكره الشاطبي في هذا النوع من المقاصد نجد مسألتين: الأولى أن هذه الشريعة عربية، والثانية أن هذه الشريعة أمية.

وقد افتتح كلامه في المسألة الأولى بقوله: إن هذه الشريعة المباركة عربية، لامدخل فيها للألسن العجمية، ثم بين أن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، ثم استدل على ذلك بمجموعة من النصوص القرآنية منها قوله تعالى: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"(سورة يوسف/الاية:2)، وعلى هذا فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولاسبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة، وهذا هو المقصود من المسألة (الموافقات ج2ص64).

وأما المسألة الأخرى فقد افتتح الكلام عنها في بداية المسألة الثالثة من هذا النوع من المقاصد الذي نحن بصدده، فبين أن هذه الشريعة المباركة أمية لأن أهلها كذلك، فهو أجرى على اعتبار المصالح. ثم استدل على ذلك بأدلة منها: النصوص المتواترة مثل قوله تعالى : "هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم" (سورة الجمعة/الأية:2)، وعلى هذا فلو لم تكن الشريعة أمية لزم أن تكون على غير ما عهد العرب، وذلك خلاف ماوضع عليه الأمر فيها، فلابد أن تكون على مايعهدون وهو ما وصفهم الله به من الأمية، فالشريعة إذن أمية(الموافقات ج2 ص69.70).

والمقصود بكون الشريعة أمية أنها لاتحتاج في فهمها وتعرف أوامرها ونواهيها إلى تغلغل في العلوم الكونية والرياضيات وما إلى ذلك. والحكمة في ذلك أن من باشر تلقيها من الرسول صلى الله عليه وسلم أميون على الفطرة، فإنها لو لم تكن كذلك لما وسعت جمهور الخلق من عرب وغيرهم، فإنه كان يصعب على الجمهور الإمتثال لأوامرها ونواهيها المحتاجة إلى وسائل علمية لفهمها أولا ثم تطبيقها ثانيا (الموافقات. تعليق عبد الله دراز. ج2 هامش ص69). ولذلك رأينا أن الشاطبي بعد أن وصف الشريعة بالأمية وعلل هذا الوصف بأن أهلها كذلك، ذكر أن ذلك أجري على اعتبار المصالح، أي أن تنزيل الشريعة على مقتضى حال المنزل عليهم. وهم الناس المخاطبون بها. أوفق برعاية المصالح التي يقصدها الشارع الحكيم من تشريعه.

3.1. قصد الشارع في وضع الشريعة للتكليف بمقتضاها:

تطرق الإمام الشاطبي في هذا النوع لمقاصد الشارع في التكليف، وبين حدود ماقصده الشارع الحكيم مما لم يقصده في تكاليفه للعباد. ويتلخص بحثه في هذا النوع من المقاصد في قضيتين: الأولى تتعلق بالتكليف بما لايطاق، والثانية تخص التكليف بما فيه مشقة.

فأما التكليف بما لايطاق فمنفي عن الشريعة إجماعا، ولذلك يقرر الشاطبي في بداية كلامه عن هذا النوع الثالث من المقاصد أنه ثبت في الأصول أن شرط التكليف أو سببه القدرة على المكلف به، فما لاقدرة للمكلف عليه لايصح التكليف به شرعا. وبعد أن قرر الشاطبي هذه المسلمة، بدأ يبحث مباشرة في بعض الحالات المشتبهة في التكليف نفسه، فقال عن التكاليف الشرعية أنه إذا ظهر من الشارع في بادئ الرأي القصد إلى التكليف بما لايدخل تحت قدرة العبد، فذلك راجع في التحقيق إلى سوابقه أو لواحقه أو قرائنه (الموافقات ج2ص107)، فعلى سبيل المثال لما أمر المشرع المسلمين بأن يحب بعضهم بعضا فإن مقصوده أن يفعلوا من التصرفات مايؤدي إلي انتشار الحب بينهم من أسبابه المفضية إليه، سواء كانت تلك العوامل والأسباب سابقة أو مقارنة أو لاحقة مما يقويه ويرسخه، كإفشاء السلام وطلاقة الوجه وبشاشته وتبادل الهدايا والمساعدة في نوائب الدهر.. وليس المقصود بذلك التكليف الأمر بحصول الحب ذاته، لأنه شيء خارج عن قدرة المكلف، ويقاس على هذا المثال جميع الأوامر والنواهي المشابهة له.

وأما التكليف بما فيه مشقة، فبعد أن بدأ الشاطبي الكلام في هذه القضية ببيان معنى المشقة، انتقل في المسألة السادسة من مسائل هذا النوع الثالث من المقاصد الذي نحن بصدده إلى الخوض في صميم موضوع القضية التي يتحدث عنها، وأول ذلك أن الشارع لم يقصد إلى التكليف بالشاق والإعنات فيه. ثم استدل على ذلك مباشرة بعدة نصوص تنفي الحرج وتصرح باليسر والسماحة في أحكام الشريعة، كما استدل بالرخص الكثيرة الواردة في تكاليف الشرع، إضافة إلى الإجماع على عدم وقوعه وجودا في التكاليف وهو يدل على عدم قصد الشارع إليه (الموافقات ج 2ص121.123).

ثم انتقل في المسألة السابعة من هذا النوع إلى تقرير أن الشارع قاصد للتكليف بما يلزم فيه كلفة ومشقة ما، ولكن لاتسمى في العادة المستمرة مشقة، كما لايسمى في العادة مشقة طلب المعاش بالتحرف وسائر الصنائع، لأنه ممكن معتاد لايقطع ما فيه من الكلفة عن العمل في الغالب المعتاد، بل أهل العقول وأرباب العادات يعدون المنقطع عنه كسلان ويذمونه بذلك، فكذلك المعتاد في التكاليف، ثم بنى على ذلك أن ماتضمن التكليف الثابت على العباد من المشقة المعتادة أيضا، ليس بمقصود الطلب للشارع من جهة نفس المشقة، بل من جهة ما في ذلك من المصالح العائدة على المكلف (الموافقات ج2ص123.124) ويترتب على هذا أن المشقة ليس للمكلف أن يقصدها في التكليف نظرا إلى عظم أجرها، وله أن يقصد العمل الذي يعظم أجره لعظم مشقته من حيث هو عمل (الموافقات ج2ص128).

وبعد هذا انتقل الشاطبي إلى تعليل حرص الشريعة على رفع الحرج حيث ذكر لذلك علتين: الأولى هي الخوف من الإنقطاع من الطريق وبغض العبادة وكراهة التكليف، والخوف من إدخال الفساد على المكلف في جسمه أو عقله أو ماله أو حاله. والثانية هي خوف التقصير عند مزاحمة الوظائف المتعلقة بالعبد المختلفة الأنواع، مثل قيامه على أهله وولده...، فربما كان التوغل في بعض الأعمال شاغلا عنها، وقاطعا بالمكلف دونها، وربما أراد الحمل للطرفين على المبالغة في الإستقصاء فانقطع عنهما (الموافقات ج2ص136).

ثم انتقل في المسألة الثامنة إلى بيان حكم مشقة مخالفة الهوى، وقد قرر هنا أن "الشارع إنما قصد بوضع الشريعة إخراج المكلف عن اتباع هواه، حتى يكون عبد الله، فإذن مخالفة الهوى ليست من المشقات المعتبرة في التكليف، وإن كانت شاقة في مجاري العادات، إذ لو كانت معتبرة حتى يشرع التخفيف لأجل ذلك، لكان ذلك نقضا لما وضعت الشريعة له، وذلك باطل فما أدى إليه مثله: (الموافقات ج2ص153).

وبعد كل ما تقدم عاد الشاطبي في المسألة الحادية عشرة لبيان المشقة التي يقصد الشارع رفعها عن المكلف، والتي لايقصد رفعها، وإن كان لايقصد حصولها أيضا، ذلك أنه حيث تكون المشقة الواقعة بالمكلف في التكليف خارجة عن معتاد المشقات في الأعمال العادية، حتى يحصل بها فساد ديني أو دنيوي فمقصود الشارع فيها الرفع على الجملة، وأما إذا لم تكن خارجة عن المعتاد، وإنما وقعت على نحو ما تقع المشقة في مثلها من الأعمال العادية، فالشارع وإن لم يقصد وقوعها فليس بقاصد لرفعها أيضا. والدليل على ذلك أنه لو كان قاصدا لرفعها لم يكن بقاء التكليف معها. ثم نبه على أن المشقة التي تستحق أولا تستحق التخفيف، إنما تقاس بالنظر إلى العمل الذي يستلزمها ومدى ضرورته وأهميته، فلا نقيس مثلا المشقة في ركعتين الضحى كما نقيسها في صلاة الصبح، ولامشقة هاتين بالمشقة في الحج، ولاتقاس هذه المشاق الثلاث بمشقة الجهاد (الموافقات ج2ص156).

وأخيرا ختم هذا النوع الثالث من مقاصد الشارع في المسألة الثانية عشرة ببيانه لوسطية واعتدال هذه الشريعة، ومما قال في ذلك: "فإذا نظرت في كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط، فإن رأيت ميلا إلى جهة طرف من الأطراف، فذلك في مقابلة واقع أو متوقع في الطرف الآخر. فطرف التشديد. وعامة مايكون في التخويف والترهيب والزجر. يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الإنحلال في الدين. وطرف التخفيف. وعامة ما يكون في الترجيح والترغيب والترخيص. يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد. فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط لائحا، ومسلك الإعتدال واضحا، وهو الأصل الذي يرجع إليه والمعقل الذي يلجأ إليه" (الموافقات ج2ص167.168)ولاريب أن التوسط والإعتدال هو مصدر الكمالات والمثل العليا التي جاء بها الإسلام، ومن ثم كانت خاصية التوسط التي يمتاز بها هذا الدين من ألزم الصفات التي ينبغي على المسلمين مراعاتها في حياتهم.

4.11. قصد الشارع في دخول المكلف تحت أحكام الشريعة:

افتتح الإمام الشاطبي هذا النوع الأخير من مقاصد الشارع في المسألة الأولى منه بقوله: "المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبد الله اختيارا كما هو عبد الله اضطرارا" (الموافقات ج2ص168). وبعد أن سرد الأدلة التي تثبت ما قاله بنى على ذلك بعض القواعد التي تتلخص في ثلاثة: الأولى، أن كل عمل كان المتبع فيه الهوى بإطلاق من غيرالتفات إلى الأمر أو النهي أو التخيير فهو باطل بإطلاق. الثانية: أن اتباع الهوى طريق إلى المذموم وإن جاء في ضمن المحمود. الثالثة: أن اتباع الهوى في الأحكام الشرعية مظنة لأن يحتال بها متبع الهوى على أغراضه، كالمرائي يتخذ الأحكام الة لإقتناص أغراضه (انظر الموافقات ج2ص173.176).

ثم أخذ الشاطبي يعمق البحث فيما قرره هنا منطلقا من تقسيم المقاصد الشرعية في المسألة الثانية إلى مقاصد أصلية ومقاصد تبعية، فأما المقاصد الأصلية فهي التي لاحظ فيها للمكلف، وهي الضروريات المعتبرة في كل ملة، أي الكليات الخمس كما سبق بيانها، والمكلف ملزم بحفظها رضي بذلك أو لم يرضى، وإلا حجر عليه وعوقب على تضييعها. وأما المقاصد التبعية فهي التي روعي فيها حظ المكلف، فمن جهتها يحصل له نيل الشهوات والإستمتاع بالمباحات (الموافقات ج2ص176.178) ومن الواضح أنه رغم أن عمل المكلف بمقتضى المقاصد الأصلية يحقق له المقاصد التبعية، وأن عمله بمقتضى المقاصد التبعية يخدم المقاصد الأصلية، فإنه من الأفضل أن يقع عمل المكلف بمقتضى المقاصد الأصلية، لأن هذا أقرب إلى الإخلاص....